

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

المرجع: .....

معهد الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

# ديوان عفيف الدين التلمساني

## دراسة بلاغية

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر

التخصص: أدب قديم

الشعبة: أدب عربي

إشراف الأستاذ:  
عبد الحفيظ بورايو

إعداد الطالبة:  
نجلاء بن عميمور

السنة الجامعية: 2018/2017



# مقدمة



منذ أن دخلت السنّة الجامعيّة الثالثة والأفكار تراودني يميناً وشمالاً، في أي ميدان يمكن أن أبحث؟ الأدب، البلاغة أو النّقد، وبعد الكثير من الأخذ والرّد استقرّ ذهني على دراسة الأدب وبالتحديد (الأدب الصوفي)، والذي يمثل لوناً من ألوان الأدب الرّفيع؛ لأنّه يحمل في طياته أسمى المعاني الروحية والقيم الأخلاقيّة؛ التي يجب أن يتشبع بها الفكر الإسلامي قصد تطهير النّفس والرّوح من حبّ الدّنيا وزخرفها، وقد دُرّس الأدب الصّوفي من قبل العديد من طلاب العلم بمناهج مختلفة، فمنهم من درس المعاني ومنهم من درسه دراسة فنيّة... وبعد أخذ رأي أستاذي المشرف استقرّ الموضوع أخيراً حول: "ديوان عفيف الدين التلمساني دراسة بلاغيّة" والذي سنحاول من خلاله التعرّف على مفهوم الأدب الصّوفي، ومفهوم الدّراسة البلاغيّة، ومدى توفّق الصّور الشعريّة البلاغيّة في تصوير الفكر الصّوفي؟

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

- التعرّف على خبايا الأدب الصّوفي الذي لطالما أحدث ضجة كبيرة في الوسط الأدبي.
- أهمية علم البلاغة في كشف أسرار هذا الفن.
- غنى وثراء الشّعْر الصّوفي عامّة وشعر العفيف التلمساني خاصة بالتعابير المجازية. وأمّا العوامل الدّائية فهي شغفي بالدّراسة البلاغيّة لأنّها الرّاد الأساسي لطالب العلم. وتكمن أهمية هذا البحث في كونه لبنة تضاف إلى مكتبة الأدب العربي، وبداية الكشف عن الأدب المغربي الذي لطالما كان مغموراً عكس نظيره المشرقي.
- وقد استدعت هذه الدّراسة منهجاً متكاملًا، لأنّ ضرورة البحث تقتضي ذلك.
- وأما المنهج السائد فهو المنهج الوصفي التّحليلي، حيث قمنا بتحديد ورصد هذه الظاهرة وتحليلها ثم تدعيمها بمجموعة من الشّواهد.
- ولتحقيق الفائدة من هذه الدّراسة وجب العودة إلى مجموعة كبيرة من الكتب، فكانت مدوّنة الشّاعر «عفيف الدين التلمساني» محور البحث، وأوّل مصدر في البحث.
- ثم تلتها مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

\* مدخل إلى التصوّف الإسلامي لأبي الوفاء الغنمي التفتازاني،\* كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري،\* الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني،\* العمدة لابن رشيق القيرواني،\* نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني...  
 أمّا الخطة التي بني عليها هذا البحث فهي: مدخل مفاهيمي وفصلين وخاتمة.  
 وقد خصّص المدخل للحديث عن الأدب الصوّفي، من حيث مفهومه وأصل تسميته وأهم مصطلحاته.

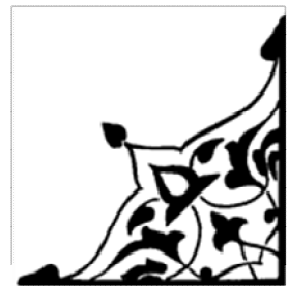
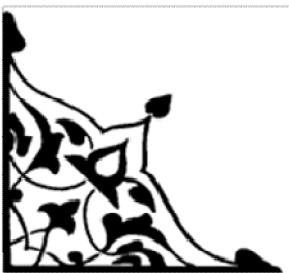
أمّا الفصل الأول أو ما يسمى بالجانب النظري فقد خصص للتعريف بعفيف الدين التلمساني من حيث نسبه ومولده، ونشأته وأهم مؤلفاته وبالأخص ديوانه الشعري الذي يمثل نقطة تحوّل في مسيرته الأدبية وأخيرًا وليس آخرًا أهم الأغراض الشعرية التي برز فيها.  
 وأمّا الفصل الثاني وهو بمثابة الجانب التطبيقي، وبما أنّ الأشياء تُعرف بالرجوع إلى أصلها، فقد خصص هذا الفصل للحديث عن البلاغة وعلومها (البديع، البيان، المعاني) ورصدها في شعر عفيف الدين التلمساني.

وقد أنهى هذا البحث بخاتمة كانت بمثابة حوصلة عامّة وخلاصة شاملة لأهم النتائج.  
 وكما هو متعارف عليه أنّ أي بحث علمي لا يخلو من الصعوبات، فلعلّ أهم العوائق التي واجهتني، قلّة الدّراسات التّطبيقية حول "ديوان عفيف الدين التلمساني" خاصّة وتشعب الفكر الصوّفي عامّة، لكن وبعون المولى عزّوجل وبمساعدة أستاذي المشرف" عبد الحفيظ بورايو" الذي لم يدخر جهدًا في سبيل توجيهي توجيهًا سديدًا، بالإضافة إلى قوة صبره ورحابة صدره حتّى أكمل هذا العمل المتواضع والشّكر موصول إلى السّادة أعضاء اللّجنة المناقشة على ما سيقدمونه لي من ملاحظات، فجزاهم الله خير جزاء.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في هذا العمل ولو بالقليل، ولا يسعني إلا أن أقول وفوق كلّ ذي علم عليم.



# مدخل



# مدخل

## مفاهيم ومصطلحات

أولا . مفهوم التصوف

ثانيا . أصل كلمة التصوف

ثالثا . أهم المصطلحات الصوفية

منذ أن وُجد الإنسان على هذه الأرض وهو يحاول اكتشاف ما يحيط به من أسرار بقصد التعرف، أو السيطرة على ما يكتشفه من الحياة، أو البحث عن الحقيقة المثلى، لهذا فقد اختار الشاعر الصوفي الانقطاع إلى الله عزوجل والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والحلول في الذات الإلهية حيث: «يعرج الصوفي من حال إلى حال مترقياً من مقام إلى مقام في السلم الروحي»<sup>1</sup> والمقصود هنا بالانتقال من حال إلى حال هو الارتحال من العالم السفلي إلى العالم العلوي، أو ما يسميه الصوفية (الرحلة الصوفية) ومن خلال هذا الطرح سنحاول التعرف على مفهوم التصوف، ومن أين اشتق هذا الاسم، وما إذا كان للتصوف مصطلحات خاصة به...

أولاً - مفهوم التصوف:

أ - لغة:

ذكر ابن منظور في مادة (صَوَفَ) الصَّوْفَ للضَّانِّ وما أشبهه، والصَّوْفَ للشاة وما أشبهه والصَّوْفَةَ أخصُّ منه، والصَّوْفَ للغنم كالشَّعْرِ للمعز والوبر للابل. وصوف البحر شيء على شكل هذا الصَّوْف الحيواني<sup>2</sup>. ويرى صاحب المصباح المنير أنَّ كلمة صوفية كلمة مولدة، لا يشهد لها قياس ولا اشتاق في اللغة العربية.

حيث يقول: «الصوف للضأن و(الصوفة) أخص منه، وكبش(أصوف)، (صائف) كثير الصَّوْف، و(تصوِّف الرجل)، وهو (صوفي) من قوم(صوفية) وهي كلمة مولدة، وصاف السهم عن الهدف، يصوف ويصيف عدل»<sup>3</sup>.

1- منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، د ط، منشأة المعارف بالإسكندرية، دت، ص 131.

2- محمد أبو الفضل (ابن منظور): لسان العرب؛ باب الصاد، (مادة صوف)، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، ج 28 دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، 1119، ط 1، ص 2527.

3- أحمد بن محمد بن علي الفيوميالمقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، مكتبة لبنان ص 134.

ومن هذا نستنتج أنّ كلمة تصوّف مبتدعة ومحدثة وغير معروفة عند العرب الأوائل ولا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

### ب. اصطلاحاً:

تعددت تعاريف التصوّف بسبب ما توارد عليه من ظروف مختلفة، فكل تعريف يشير إلى زاوية معينة من زواياه، ولكن المتفق عليه هو أنّ التصوّف استمد أخلاقياته من تعاليم الدين الإسلامي وقد أشار إليه ابن القيم في مدراج السالكين بقوله: «واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أنّ التصوّف هو الخلق» وعبر عنه الكفاني بقوله: «التصوّف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء»<sup>1</sup>.

وبهذا فإنّ أساس التصوّف هو الأخلاق باعتبار أنّ الدين الإسلامي قائم على أساس أخلاقي، والمقصود بالأخلاق هنا هي تلك العلاقة القائمة بين العبد وربّه وبينه وبين نفسه ومجتمعه.

كما عُرف التصوف بمعنى الزهد فمن خلال قول معروض الكرخي بأنّ: «التصوّف هو الأخذ بالحقائق واليأس ممّا في أيدي الخلائق»<sup>2</sup>.

ومن خلال هذا القول نلمس أنّ التصوّف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزهد؛ أي أنّ الإنسان يجب أن يقنع ويرضى بما كتبه له الله عزوجل له، وأن يخرج حُبّ الدنيا من قلبه بحيث لا ينشغل بها عن الغاية التي خلقه الله لأجلها وهي توحيد سبانه وتعالى.

وقيل أنّ الصّوفية بمعنى الصّفاء حيث يقول سهل بن عبد الله: «الصّوفي من صفا من الكدر، وامتلاً من الفكر، وانقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر»<sup>3</sup>.

1- أبو الوفا الغنمي التفتازاني: مدخل إلى التصوّف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط3، دت ص11.

2- منال عبد المنعم جاد الله: التصوّف في مصر والمغرب، مصدر سابق، ص116.

3- محمد أحمد لوج: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ج1، دار ابن عفان، دار ابن القيم، القاهرة، الجيزة مصر 2002، ط2، ص42.

أي أنّ الإنسان المتصوّف يجب أن يكون صافي الفكر والبال، بحيث يجب أن لا يصيبه قلق أو هم أو انشغال عن غايته الأسمى، وأن يكون متشبعاً بالأفكار والمعارف التي توصله إلى هذه الغاية، فيخلص وجهه لله عزّوجل حتّى يصير الذهب والذي يمثل الشّيء الثّمين الغالي مساوياً للتراب.

وفي هذا الشأن أيضاً يقول أحد الصّوفية:

تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الصُّوفِي وَاخْتَلَفُوا وَكُلُّهُمْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ مَعْرُوفٍ

وَلَسْتُ أَمْنَحُ النَّاسَ هَذَا الْاسْمَ غَيْرَ فَتَى صَافِي فُصُوفِي حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي<sup>1</sup>

كما ورد التصوّف بمعنى الالتزام بمعالم الشريعة حيث يقول أبو عمر بن الجنيد «التصوّف الصبر تحت الأمر والنهي»<sup>2</sup>، والتصوّف هنا هو الالتزام الحقيقي بتعاليم وآداب الدّين الإسلامي، وهذا الالتزام لا يكون إلا بالأمر بما أمرنا الله به والنهي عمّا نهانا عنه. كما أنّ هناك من ربط مصطلح التصوّف بالإخلاص (الإخلاص لوجه الله)، ويقول الجنيد أيضاً: «التصوّف أن تكون مع الله بلا علاقة وأن لا تملك شيئاً ولا يملك شيئاً»<sup>3</sup> بمعنى أن تكون محباً لله حبّ الوالدين وشغف المحبّين دون أن يشغلك عنه سواه، وأن تعتبر نفسك فقيراً حتى لو كانت خزائن الأرض بيدك، والمحبة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإخلاص والإخلاص من مرادفات التصوّف.

### ثانياً. أصل كلمة التصوف:

لطالما كان مصطلح التصوّف من المصطلحات التي أحدثت ضجة كبيرة بسبب الاختلاف حول أصلها، فها هو القشيري يعلل في عدم تسمية الجيل الأوّل من المسلمين

1- ابن عطاء الله السكندري: اللطائف الإلهية، شر: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط جديدة ص 26.

2- أبو عباس تقي الدّين أحمد بن عبد الحلّيم (ابن تيمية): الاستقامة، تح: محمد رشاد سالم، دار هجر، الجيزة مصر، دط، دت، ص 99.

3- ابن عطاء الله السكندري: المصدر السابق، ص 24.

بالصوفيّة قائلاً أنّه: «بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان المسلمون ممن صحبوه يرون لأنفسهم شرفاً لايدانيه شرف في أن يسموا بالصّحابة، وكذلك الأمر بالنسبة للجيل الذي تلاهم، فكانوا يرون في إطلاق لفظ التّابعين عليهم شرفاً»<sup>1</sup>.

والمقصود أن لفظ التّصوّف لم يكن مذكوراً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد الصحابة الكرام والتّابعين، وإتّما اشتهر التكلّم به بعد ذلك، والمتصوّفة هنا يحاولون أن يرقوا بطريقتهم هذه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ظهرت لفظة الصّوفيّة في أواخر القرن الثّاني للهجرة، وكان أوّل من تسمى بالصّوفي على حسب ما قال به المستشرق الفرنسي ماسينيوس وعبد الرزاق مصطفى «هو جابر بن حيّان وأبو هاشم الكوفي المتصوّف المشهور»<sup>2</sup>.

وقيل أنّها نسبة لأهل الصّفة «وكانوا قومًا من فقراء المهاجرين والأنصار بنيت لهم صفة في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم»<sup>3</sup>، حيث كانوا لا يملكون مأوى وكانوا متفرغين للعبادة، وقيل أيضاً أنّهم كانوا دائماً في الصفّ الأوّل من صفوف المسلمين في الصلاة.

وقيل أنّها مشتقة من كلمة صوفيا اليونانية والتي تعني الحكمة، كما أنّ هناك من نسب التّصوف إلى الاتصاف بالصفات الحميدة وترك الصفات الذميمة، وهي إحدى أهمّ تعاليم الدّين الإسلامي.

كما أنّ هناك من نسبها إلى الصّفو أو الصفاء وهنا يشير أبو الفتح البستي بقوله:  
تنازع النّاس في الصّوفي واختلّفوا فيه فظنوه مشتقاً من الصّوف.

1- أبو الوفا الغنمي التفتازاني: مدخل إلى التّصوّف الإسلامي، مصدر سابق، ص20.

2- ماسينيوس ومصطفى عبد الرزاق: التّصوّف، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، 1984م، ط1، ص26.

3- أبو بكر محمد بن إسحاق (الكلابادي): التعرف لمذهب أهل التّصوف، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1993، ط1، ص9.

وَأَسْتُ أَنْحَلُ هَذَا الْإِسْمَ غَيْرَ فَتَى صَافِي فَصُوفِي حَتَّى لُقِبَ الصُّوفِي.<sup>1</sup>

والصفاء هنا هو صفاء الروح والنفس والإخلاص لخالقها.

كما ذهب البعض إلى أنّ الصّوفية نسبة إلى الصّوف وذلك لأنّ النسبة إلى الصّوف صوفي و هو الأنسب فيقال تصوف الرّجل إذا لبس الصوف، حيث كان لباس الصّوف شعاراً للعباد والزّهاد، والصّوف أيضاً هو لباس الأنبياء وهو دليل على التواضع والذّل فما هو أبو فراس الحمداني يقول مخاطباً سيف الدولة:

يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ كَيْفَ تُبَدِّلُهُ ثِيَابُنَا الصُّوفُ مَا نُبَدِّلُهَا<sup>2</sup>

ولبس الصّوف هنا دليل على ترك ملذات الدّنيا بما فيها اللباس وعدم شغل النّفس بالملبوس النّاعم الفاخر والتفرّغ للتقرب من المولى عزوجل.

**ثالثاً. أهم المصطلحات الصوفية:**

لكل فن أو علم مصطلحاته الخاصة، لا يعلمها إلا أرباب ذلك العلم، ولكل من قرأ كتاباً في أي علم دون معرفة اصطلاحاته أو الاطلاع على رموزه وإشاراتّه، فإنّه يصل إلى مرحلة تأويل الكلام تأويلات قد تكون في أغلب الأحيان مناقضة لما يريده الكاتب.

وللصوفية مصطلحاتهم التي عبرت عما يدور في أذهانهم حين عجزت اللغة عن ذلك وفي هذا يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني : سمعت سيدي علياً الخواص يقول « إياك أن تعتقد يا أخي إذا طالعت كتب القوم ، وعرفت مصطلحهم في ألفاظهم أنك صرت صوفياً إنّما التصوّف التخلّق بأخلاقهم ومعرفة طرق إستنباطهم لجميع الآداب والأخلاق التي تحلو من الكتاب والسنة»<sup>3</sup>، ولعل أن المقصود من هذا الكلام أنّ المصطلح الصّوفي لا يفهمه كل من

1- أبو الوفا الغنمي التفتازاني : مدخل إلى التصوّف الإسلامي، ص21.

2- رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الاسكندرية مصر ،دت ، ط2، ص419.

3- عبد الوهاب الشعراني : لطائف المنن والأخلاق ( المنن الكبرى)، دار النقوى سوريا دمشق، 2004، ط1، ج2،

ص149.

هب ودب، أو كل من قرأ أو إطلع على الكتب الصّوفية وإنّما لا يفهمه إلاّ من خاض هذه التجربة قلبا وقالبا، ومن أهم هذه المصطلحات:

### 1/ الكشف:

عندما نسمع مصطلح الكشف فإنّه يتبادر مباشرة إلى أذهاننا إظهار المحبوب أو المستور المخفي، والكشف عند الصّوفية لا يتعدى هذا المفهوم إذ يمثل: «الإطلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية»<sup>1</sup>، والمقصود هنا هو العلم اليقيني الذي يكشف فيه الصّوفي العلوم والمعارف إنكشافا تاما، فلا يجوز الشك في هذه المعاني، وفي هذا نجد أن بعض الصوفيين جاءوا بمعاني جديدة للقرآن والسنة، كما زعموا أنّها مأخوذة عن الله مباشرة ، كما قالوا بأنهم لا يأخذون عن الموتى كما يفعل علماء الشريعة بل أنّهم يأخذونها عن الحيّ الذي لا يموت .

### 2/- الفيض الإلهي :

وهناك نوعان من الفيض: الفيض الأقدس والفيض المقدس

### 3/- وحدة الوجود:

ولعل أوّل من قال بهذه الفكرة أو النظرية هو ابن عربي، وبهذه النظرية جعل المخلوق والخالق في مرتبة واحدة، فهو يرى أن كل هذه المخلوقات تعود إلى الله وفي هذا الصدد يقول : «العارف من يرى الحقّ في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء»<sup>2</sup>؛ أي أن كل الموجودات تتجسد في وجود الله .

1- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة مصر، دط ، ص155.

2- ابن عربي : فصوص الحكم ( فص حكمة إمامية في كلمة هارونية)، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دط ص192.

## 4- الإِتِّحَاد:

ويندرج هذا المصطلح تحد مصطلح وحدة الوجود، وقد جاء بهذه النظرية البسطاني ومفادها أن الإنسان يتحد بالله وقد سماها أيضا بالفناء.

## 5- الحُلُول:

ومعناه لا يختلف كثير عن معنا الإِتِّحَاد أي أن الله تعالى حل في جميع أجزاء الكون كما يحل في الإنسان، لكن يبقى المخلوق مؤدباً لوظيفته بشكل طبيعي، والفرق بين الحُلُول والإِتِّحَاد ووحدة الوجود هو أن: «الحلول يعني وجود شيء داخل شيء آخر دون أن يفقد أحدهما طبيعته أو هويته... أمّا الإِتِّحَاد فيكون أكثر قرباً وامتزاجاً وتداخلاً وقد يفقد الشيء الممتزج أحد صفاته أو خصائصه، وأمّا وحدة الوجود فتعني أن الله وحده هو الموجود وما سواه فناء، وأنه وحده الأصل الباقي الذي لا يزول...».

## 6- المَقَام:

والمقام عند المتصوفة هو المنزلة التي يصل إليها المتصوّف عن طريق التزامه بالآداب والمعاملات في ظاهره وباطنه، ولا يرتقي إلى آخر حتى يستوفي ما في المقام الأول ومن أمثلة المقام: التّوبة، الشّكر، الصّبر، الزّهد، الخوف والتوكّل، وقد وصف ابن خلدون في مقدمته المقام بالغاية المطلوبة للسعادة حيث يقول: «ولا يزال المرید يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة»<sup>1</sup> إذن فالمقامات هي كلّ ما يبده الإنسان من مجهود وهي مراحل يرتقي يصل إلى الاطمئنان والسعادة الأبدية والتي لا تكمل إلا بالانقطاع إلى الله عزوجل.

1- صديق حسن بن خان: أبجد العلوم، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دط، ص122.

## 7- الأحوال:

وهي إحدى ثمرات التقرب من الله، وهي سمة يخلقها المولى عزوجل في قلوب عباده  
الذاكرين، وسميت بالأحوال لأنها تتحوّل ولا تدوم وفي هذا يقول الإمام الجنيد: «الحال نازلة  
تنزل بالقلوب فلا تدوم»<sup>1</sup>؛ أي أن العبد يتحوّل من حال إلى حال دون تصنّع أو تكتسب  
وبالتالي فالأحوال مواهب وملكات وهبها الخالق لمخلوقه، وكما قال الجرجاني: «الأحوال  
مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي في الجود والمقامات تأتي ببذل المجهود»<sup>2</sup>؛ وما  
نفهمه من هذا القول أنّ الأحوال زائلة ومتغيرة من إنسان إلى آخر، كما يمكن أن تكون  
متغيرة في الإنسان ذاته، على عكس المقامات التي تمثل الدرجات التي يرتقي بها العبد  
وتكون ثابتة، وإذا تكرر حدوث الحال في نفس الصوفي فقد يستقر ويثبت ويصبح مقامًا.

1- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات ، ص71.

2- الشريف الجرجاني: المصدر نفسه، ص71.

# الفصل الأول:

التعريف بصاحب المدونة "عفيف الدين التلمساني"

أولاً: نسبه ومولده

ثانياً: نشأته

ثالثاً: أهم مؤلفاته

رابعاً: أغراضه الشعريّة

# الفصل الأول:

نبذة عن حياة الشاعر " عفيف الدين التلمساني "

أولاً: نسبه ومولده

ثانياً: نشأته

ثالثاً: أهم مؤلفاته

رابعاً: أغراضه الشعريّة

إنّ الوقوف عند حياة عفيف الدين التلمساني يكتسي أهمية كبيرة، بحيث يمكننا من معرفة أهمّ مراحل حياته والوقوف عند محطاتها الكبرى، بدءًا بنسبه مروراً بمولده فنشأته وشاعريته، ثمّ مكانته بين أهل عصره، لذا وجب علينا الاقتراب منه والتعرّف على أهمّ ظروفه وملابساته الحياتية التي كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصيته وإثراء خياله.

### أولاً: نسبه ومولده:

اختلفت المصادر التاريخية حول تفاصيل حياة عفيف الدين التلمساني، لكنّها لم تختلف حول اسمه «أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله، بن علي بن ياسين العابدي، المعروف، بعفيف الدين التلمساني»<sup>1</sup>.

وتذكر بعض المصادر القديمة أنّه: (الكوفي التلمساني) وهي نسبة خاطئة تناقلتها هذه المصادر، «فالصحيح أنّه (الكومي التلمساني) وذلك نسبة إلى قبيلة كومة وهي قبيلة عربية صغيرة منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان»<sup>2</sup> وهي إحدى فروع زناته.

### ثانياً: نشأته:

نشأ العفيف في ربوع تلمسان، وهناك تلقى بذور التصوّف وطريق الصوفيّة، ثمّ رحل عن بلاده وطاف في ديار المسلمين باحثاً عن شيخه حتّى لقيه ببلاد الرّوم، وكان هذا الشيخ هو تلميذ ابن عربي الأشهر: صدر الدين القونوي<sup>3</sup>. ينظر

كان لقاء التلمساني بصدر الدين القونوي تحولاً كبيراً في مساره الروحي فقد تعرّف من خلال شيخه القونوي على عالم فسيح، وهو عالم (ابن عربي) الذي تعمق بالتجربة الصوفية حتّى اخترق الفقه والفلسفة وعلم الكلام وغيرها من علوم تلك الحقبة، ليقدّم في النهاية نمطاً متميّزاً من التصوّف الجارف وعلى هذا النحو عرف التلمساني تصوّف ابن عربي.

1- عفيف الدين التلمساني: ديوان عفيف الدين التلمساني، ج1، تح: يوسف زيدان،، دار الشروق، القاهرة مصر 2008، ط2، ص11.

2- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979، ط1، ص 658.

3- صدر الدين القونوي : هو محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف بن علي الرّومي القونوي صدر الدين: وهو صوفي مشارك في بعض العلوم، أخذ عن ابن عربي، توفي بقونوية، من مؤلفاته إعجاز البيان، مفتاح القلوب.

و يمكننا القول بأنّ كرنكوف أخطأ في قوله: «نستطيع أن نقول دون أن نخشى الزل: إنّ عفيف الدين كان تلميذاً وفيّاً لابن عربي»<sup>1</sup>. ذلك أنّ التلمساني لم يلتق بابن عربي وإنّما عرفه عن طريق القونوى شيخ التلمساني، وتلميذ ابن عربي. وقد لازم العفيف التلمساني القونوى مدة طويلة فأخذ من تصوّفه الكثير، وصحبه في رحلاته والتي كانت من أهمها رحلتها إلى مصر.

وفي مصر التقى التلمساني بصوفي لا يقلّ عن ابن عربي مكانةً وخطراً وهو الصوفي الأندلسي: محمد عبد الحق بن سبعين المتوفى 669هـ، ويروي المناوي عن هذا اللقاء فيقول: « ولما قدم القونوى من المغرب رسولاً إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين وكان التلمساني مع شيخه القونوى قالوا لابن سبعين: « كيف وجدت القونوى في علم التوحيد؟ قال: إنّه من المحققين، لكن معه شاب أحقق منه وهو العفيف التلمساني»<sup>2</sup>.

وبقي التلمساني حيناً من الدهر في مصر، فظلّ مقيماً عند صاحبه شمس الدين الأيكي حتّى رزق بولده، شمس الدين محمد المعروف بالشاب الظّريف، الذي ولد بالقاهرة سنة 661هـ، وما لبث أن رحل التلمساني بأسرته إلى دمشق ليتولى منصب الإشراف على تحصيل رسوم الخزانة.

وفي دمشق نال العفيف شهرة واسعة كواحد من أهم المتصوّفين آنذاك، حيث عرف بفضل علمه وزهده يقول ابن شاکر: « وكان حسن العشرة كريم الأخلاق له حرمة ووجاهة... حضر الأسعد بن السديد النصراني إلى دمشق بصحبة الملك منصور، فقال له يوماً: يا عفيف الدين، أريد منك أن تصنع لي أوراقاً بمصروف الخزانة وحاصلها... وطلبها منه مرّة حتّى قال له: أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول لي نعم، ولا تأتي بها وأغلظ له في القول فغضب العفيف وقال له: لمن تقول هذا الكلام... يا خنزير، ما هذا إلّا لعجز المسلمين ولو بصقوا

1- كرنكوف: دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية، ج5، ص 436.

2- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، تح: ع القادر الأرنبوط، دار ابن كثير، دمشق سوريا،

دت دط، ص412.

عليك لأغرقوك ثم شقّ ثيابه وقام يهيم بالدخول على السلطان، فقام الناس إلى الأسعد بن السديد وقالوا: هذا ما هو كاتب، وهذا الشيخ عفيف الدين التلمساني، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس ومتى دخل السلطان آذاك فسألهم رده وقال له: يا مولانا ما بقيت أطلب منك أوراقاً ولا غيرها<sup>1</sup>؛ ومن خلال هذا القول لا يسعنا إلا أن نقول أنّ العفيف التلمساني اسم على مسمى.

ونشأ الشاب الظريف بن العفيف في دمشق وأنشد أشعاره التي ذاع صيتها في الآفاق ونال بها محبة الناس جميعاً، ويقول القاضي شهاب الدين بن الفضل في حقه: « نسيم سرى ونعيم جرى، وطيف لا بل أخف موقعاً منه في الكرى، لم يأت إلا بما خفّ على القلوب وبرئ من العيوب، رقّ شعره فكاد أن يشرب، ودقّ فلا غرو للقبض أن ترقص والحمام أن يطرب، ولزم طريقة دخل بها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب الأذان وكان لأهل عصره بشعره افتتان، وخاصة أهل دمشق فإنّه في غمائم حياضهم ربيّ، وفي كمائم رياضهم حُباً، حتّى تدفق نهره وأينع زهره...»<sup>2</sup>.

لكن شاءت الأقدار وفي دمشق توفي الشاب الذي ملأ حياة من حوله بهجة وسرورا ولم يكن يبلغ من العمر غير سبع وعشرين عاماً، ولم تكن بيد العفيف حيلة إلا أن رثا ابنه محمد شمس الدين وأخاً له أيضاً اسمه محمد الذي توفي قبل ابنه بقليل فقال فيهما:

مَالِي بِفَقْدِ الْمُحَمَّدَيْنِ يَدُ مَضَى أَخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الْوَلَدُ  
يَا نَارَ قَلْبِي وَأَيْنَ قَلْبِي أَوْ يَا كَبِدِي لَوْ يَكُونُ لِي كَبِدُ  
يَا بَائِعَ الْمَوْتِ أَشْتَرِيهِ أَنَا فَالْصَّبْرُ مَا لَا يُصَابُ وَالْجَدُّ  
أَيْنَ الْبَنَانُ الَّتِي إِذَا كَتَبْتَ وَعَايِنَ النَّاسُ خَطَهَا سَجَدُوا  
أَيْنَ الثَّنَائِيَا الَّتِي إِذَا ابْتَسَمْتَ أَوْ نَطَقْتَ لَاحَ لُؤْلُؤُ نَضْدُ

1- محمد بن شاکر الکتبی : فوات الوفيات والذیل علیها، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بیروت لبنان، 1974، ج2، ص72-73.

2- محمد بن شاکر الکتبی، المرجع نفسه: ج3، ص 372-373.

مَا فَقَدْتِكَ الْإِخْوَانُ يَا وَلَدِي      وَإِنَّمَا شَمْسُ أُنْسِهِمْ فَقَدُوا  
مُحَمَّدٌ يَا مُحَمَّدٌ عَدَدًا      وَمَا لَهَا لَيْسَ يَنْتَهِي عَدَدًا<sup>1</sup>

عندما توفي الشاب الظريف كان العفيف قد بلغ من العمر قرابة الثامنة والسبعين عاما، ونلمس من خلال أبياته صدق مشاعره وأحاسيسه، ففي البيت الثالث يرحب بالموت بعد نفاذ صبره وحزنه على ولده، لكنّه لم يتم بعدها عامين وانتقل إلى جوار ربّه في 5 رجب سنة 690هـ.

وبهذا فقد بلغ العفيف التلمساني ثمانين سنة- بشهادة معاصريه-، وقد زاره الشيخ برهان الدين الكبتي في اليوم الذي توفي فيه وسأله عن حاله، فقال التلمساني « بخير، من عرف الله كيف يخافه؟ والله مذ عرفته ما خفته...وأنا فرحان بلقائه»<sup>2</sup>.

**الثالث: أهم مؤلفاته:**

يقول ابن شاکر في ترجمته للعفيف التلمساني، قال الجزري في تاريخه: « إتهعمل ببلاد الروم أربعين خلوة، يخرج من واحدة ويدخل في أخرى، وله في كلّ علم تصنيف»<sup>3</sup>.

لكنّ المتأمل في مؤلفات العفيف لا يلحظ هذا التنوع لأنّ معظم مؤلفاته تقتصر على مجال التصوف، وإنّما هذه العبارة تحمل بين طياتها العديد من الدلالات والمعاني.

كما أنّ معظم مؤلفات العفيف كانت عبارة عن شروح لمؤلفات صوفية كتبها كبار الرجال الصوفيين الذين سبقوه، والتي حاول من خلالها تحديد المعاني الخفية خلف الرمز الصوفي وتبيين الحقائق كما يراها المتصوفة، لكن لم تحظ مؤلفات العفيف بالعناية الكافية لأنّها بقيت عبارة عن مخطوطات ولم تطبع ومن أهم مؤلفاته:

## 01- شرح منازل السائرين:

1- محمد بن شاکر الكبتي : فوات الوفيات والذيل عليها، مصدر سابق، ص381.

2- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7، ص721.

3- محمد بن شاکر الكبتي، المصدر السابق، ج2، ص72.

بالرغم من أن كتاب شرح منازل السائرين إلى الحق المبين -جل شأنه- لا تتجاوز صفحاته الخمسين صفحة؛ أي أنه أقلّ الكتابات الصوفية حجماً إلا أنه أكثرهما قيمة، من حيث اعتماده على التركيز وكثافة المصطلح الصوفي، وإظهار الأصول الشرعية من القرآن بإيراد الآيات التي تنطلق منها المفاهيم الصوفية، وتنقسم المنازل إلى أقسام وأبواب على النحو التالي:

1-/- قسم البداية. 2/ قسم الأبواب. 3/ قسم المعاملات. 4/ قسم الأخلاق. 5/ قسم الأصول. 6/ قسم الأدوية. 7/ قسم الأحوال. 8/ قسم الولايات. 9/ قسم الحقائق. 10/ قسم النهايات<sup>1</sup>.

ونظراً للضجة التي أحدثها كتاب منازل السائرين للشيخ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي المعروف بالهراوي الأنصاري، فقد تناوله بالشرح العديد من الصوفيين على رأسهم العفيف التلمساني، حيث برزت في شرحه تلك النزعة الصوفية العميقة، التي لا نجدها إلا عند تلامذة ابن عربي، من حيث اهتمامهم بالمصطلح الصوفي، ودلالته الخاصة.

## 2- شرح المواقف:

يعدّ كتاب عبد الله بن محمد بن عبد الجبار النّفري من أهم الكتب الصوفية التي تتميز بالغموض والإبهام ويختلف عن كتاب الله منازل من حيث المضمون والغاية، « فالأول يهتم بالمصطلح الصوفي والتجربة الروحية، أما الثاني - المواقف - فيهتم بما يسمى عند الصوفية بالأحوال والمقامات<sup>2</sup>، والمقصود به المثل بين يدي الله، ويتميز كتاب المواقف بطابعه السحري وعباراته الرمزية التي لا نجدها إلا في أسلوب النّفري، وتتألف من سبعة وسبعين موقفاً، تبدأ بموقف العزّ، وما كان للتلمساني وهو الذي عُرف بحبه وشغفه بالتيار الصوفي إلا أن يشرح هذه المواقف، ويتوّغل في كل صغيرة وكبيرة.

1- أبو اسماعيل الهراوي : منازل السائرين إلّالحق المبين، شرح: عفيف الدين التلمساني، دط، دار التركي للنشر، تونس، 1989، ج1، ج2.

2- عفيف الدين التلمساني، الديوان، مصدر سابق، ص26

## 3- شرح تائة ابن الفارض:

نظم السلوك أو ما يسمى بتائيّة ابن الفارض، إحدى أشهر قصائد الشعر الصّوفي: « إذ تعتبر التصوير الأتمّ للتصوّف»<sup>1</sup> عند الصوفية في تلك الحقبة التي عاش فيها الشاعر، وقد بلغ عدد أبياتها 761 بيتاً، ويقول ابن الفارض في البيت الأول منها:

سَقَنْتِي حُمِيًّا حُبِّ رَاحَةٍ مُقَلَّتِي وَكَأْسِي مُحِيًّا مَنْ عَنِ الْحُسْنِ جَلَّتِ<sup>2</sup>

وعلى الرغم من تلك الشهرة التي نالتها تائية ابن الفارض، إلا أنّ الشرح لم يعطوها حقّها من الشرح؛ لأنهم لن يتعمقوا في بيان مقاصدها، حتّى أنّه يُروى عن ما ذكره ابن الفارض في مقدّمة ديوانه حيث يقول: « إنّ شيخاً من معاصري ابن الفارض جاء يستأذنه في شرح القصيدة، فسأله ابن الفارض: في كم مجلد يقع شرحك؟ قال في مجلدين... فابتسم ابن الفارض وقال: لو شئت لشرحك كل بيت في مجلدين»<sup>3</sup>.

والى جانب عدد من الشروح يأتي شرح العفيف التلمساني الذي يعبر فيه عن عناية الصوفيّة بكلّ تلك النظم الموجودة في هذه التائية كما حاول أن يفكّ تلك الرّموز الفكرية لابن الفارض، والغوص في تلك الأفكار الصّوفية العميقة.

## 4- شرح فصوص الحكم:

يعد كتاب الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي\* إحدى أهم الكتابات الصّوفية الأكثر غموضاً على الإطلاق سواء من حيث الشرح أو من حيث التأويل، وهذا ما جعل العفيف يتناولها بالدراسة والشرح، قصد التعرّف على تلك المكونات الصّوفية.

## 5- شرح القصيدة العينية:

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، مصدر سابق، ج1، ص27.

2- عفيف الدين التلمساني، المصدر نفسه، نقلا عن: ابن الفارض : الديوان، تح: عبد الخالق محمود، ص83

3- عفيف الدين التلمساني، المصدر نفسه، ص29

\* محي الدين بن عربي : محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله: الشيخ محي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، المعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوّف. ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص435.

القصيدة العينية، أو عينية ابن سينا، تتناول موضوع النفس الإنسانية تناولاً صوفياً، وقد بلغ عدد أبياتها عشرين بيتاً يقول في مطلعها:

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ      وَرَقَاءُ دَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ<sup>1</sup>

وقد حظيت العينية كغيرها من القصائد الأخرى بعدد كبير من الشروح، وقد تميز شرح العفيف بوضعه عنواناً مميزاً وهو (الكشف والبيان في معرفة علم الإنسان)، والذي أحدث ضجة كبيرة بين المفهرسين حيث أن بعضهم اعتبر (الكشف والبيان) و (شرح القصيدة العينية) مؤلفان مستقلان.

#### 6- شرح الأسماء الحسنى:

من المتعارف عليه عند المسلمين أن أسماء الله الحسنى تسع وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة، لكن الاختلاف عند المتصوفة يكمن في شرحهم لهذه الأسماء، فهم يؤمنون بفكرة أن لا موجود سوى الله، وهذه الأسماء ما هي إلا آثار تجليات هذه الأسماء في الكون، وبالرغم من أن شرح أسماء الله الحسنى ذكر في عدة مؤلفات كواحد من أهم مؤلفات عفيف الدين التلمساني، إلا أننا لانجد إلا «نسخة خطية واحدة محفوظة بالسليمانية وهي نسخة كتبت عام 794 هـ»<sup>2</sup>

#### 7- رسالة في علم العروض

ليس من الغريب أن العفيف التلمساني الشاعر، يكتب رسالة في علم العروض، وقيل أن مخطوطة هذه الرسالة موجودة بمكتبة برلين.

1- ابن سينا :الديوان،تح:الحسين علي محفوظ ، مطبعة الحيدري، طهران ،1957، دط، ص19.

2- عفيف الدين التلمساني :الديوان، ص32.

## 8- الديوان الشعري:

يعتبر ديوان التلمساني أشهر مؤلفاته على الإطلاق إذ أنه يمثل نموذجاً مصغراً لشخصية الشاعر، وآفاق تصوّفه، وبما أنّ معظم مؤلفاته عبارة عن شروح فإنّ الديوان يُمثّل المؤلف الوحيد الذي يبرز فيه أسلوب العفيف، حيث لم يتقيّد فيه بعبارات غيره.

ولا توجد شكوك حول نسبته إليه، إذ أنّ معظم المفهرسين والمترجمين كابن شاعر في فوات الوفيات، والزركلي في الأعلام نسبوه إليه.

ونالت أبيات العفيف شهرة واسعة في حياته وبعد مماته بالرغم من تضارب الآراء حول شعره فيها هو الدكتور عمر فروخ يقول: «أمّا شعره فسهل ينوء أحياناً بالضعف، الذي ينوء به الشعر الصوّفي عموماً»<sup>1</sup>.

أي أن شعره بسيط يفهمه عامّة الناس حتّى اتّسم بالضعف، لكن هذا الضعف والبساطة ما هي إلاّ إحدى السمّات التي يتميّز بها الشعر الصوّفي عن غيره.

في حين نجد ابن العماد الحنبلي يقول: «أمّا شعره ففي الذروة العليا من البلاغة»<sup>2</sup> وما الذي يمكننا قوله بعد هذا القول؛ فإذا قيل للشاعر أنّ شعره بليغ فهذا هو ما يؤهله لأن يتصدّر قائمة معاصريه من الشعراء، وما هذا الاختلاف الذي أحدث ضجة في الوسط الأدبي إلاّ دليل على نبوغ التلمساني.

كما قال فيه ابن شاعر بعد استشهاده بعدة أبيات من شعره: «وشعره جيّد للغاية»<sup>3</sup> وهذا القول يؤكّد لنا القول الذي سبقه ويزيد عليه معيار الجودة، لكن يبقى تذوق الشعر متفاوت بين الناس.

1- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص 658 .

2- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7، ص 720.

3- ابن شاعر الكتبي : فوات الوفيات، ج2، ص76.

والدّارس لأشعار التّلمساني يلمس أنّ شعره كباقي الأشعار الصّوفية يغلب عليه الطابع الرّمزي، كما أنّ معظم الأفكار التي يدور حولها ديوان التّلمساني هي تلك الأفكار الصّوفية التي ظهرت عند أستاذه ابن سبعين وغيره، ولعلّ أهمّ فكرتين تناولهما العفيف هما: الوحدة والمحبة بمفهومها الصوفي؛ أمّا الوحدة فالمقصود بها الوحدة الإلهية أي أنه لا موجود على الحقيقة إلاّ الله عزّوجل، وأمّا المحبة فهي تفرغ القلب من التعلّق بشيء سوى محبة الخالق والتفرغ إليه بفضائل الأعمال والتشوّق إلى لقاءها، أو ما يسمى بالزّهد.

#### رابعًا: أغراضه الشعرية:

تعدّدت أغراض الشعر العربي على مرّ العصور، من مدح وثناء وهجاء وتشبيب ووصف...إلاّ أنّ الجانب الدّيني والرّوحي في الأدب لم يلق الاهتمام الأمثل إلاّ في عصر صدر الإسلام، وهذا ما مهد إلى ما يسمّى بالشعر الصّوفي، الذي نشأ وتطوّر بداية من أواخر القرن 2هـ. وقد ظهر في هذه الفترة تحديدًا كردة فعل على ما انتشر آنذاك من لهو ومجون وحياة ترف، والشّاعر الصّوفي كغيره من الشّعراء تناول مختلف الأغراض الشّعرية لكن هناك أغراض استقل بها عن غيره من الشّعراء، ومن أهمّ الشّعراء الصّوفيين نجد الحلاج وابن الفارض، والعفيف التّلمساني وغيرهم، ويعدّ هذا الأخير أحد أهمّ الشّعراء الصّوفيين الذين تميّزوا بإحساسهم المرهف وذوقهم الخاصّ، كما يعتبر من أهمّ الذين ارتقوا بالشعر الصّوفي وحققوا له الكثير من النّضج وذلك من خلال دقة تصويره وخياله الواسع، ومن أهمّ الأغراض التي برز فيها:

#### 1- الغزل الصوفي:

الغزل الصّوفي أو ما يسمى بالمحبّة الإلهية، يعتبر الحبّ الإلهي الغرض الأوّل الذي دارت حوله قصائد الشعر الصّوفي، ويتنوع هذا الحبّ بتنوع التجارب الصّوفية ونظرتهم إليه كما يقول الأستاذ يوسف زيدان: «المحبّة عند الصّوفية لا يجوز النظر إليها على

أنها غرض واحد فحسب»<sup>1</sup>، أي أن عمل المحبة في حد ذاتها تتسع حتى تشمل العديد من الموضوعات الصوفية المتعلقة بها، فتارة نجدتها مرتبطة بالصدق والصبر وتارة أخرى بالرضاء والوصل والفناء.

كما يقول العفيف في إحدى قصائده:

أحبّ حبيباً لا أسميه هيبةً وكنتم الهوى للقلب أنكى وأنكأ

أخاف عليه من هواي فكيف لا أغار عليه من سواي وأبرأ<sup>2</sup>

ولعل المقصد من هذين البيتين أنه من شدة حبه لمحبوته، والتي تتجلى في الذات الإلهية وصل به الأمر لأن يغار حتى مجرد ذكر اسمها، مع أن كنتم هذا السر في قلبه لا يزيده إلا حرقه على حرقه.

وقد استمد الصوفية مفهوم الحب الإلهي من القرآن الكريم كما ورد في قوله تعالى حيث خاطب الله عز وجل عباده المخلصين: «يحبهم ويحبونه»<sup>3</sup>، وقد ورد التعبير عن الحب الإلهي في القرآن الكريم في عدة مواضع، كما أفرد له الصوفيون مساحات واسعة من كتاباتهم، ويعتبر موضوع الحب الإلهي من أرقى السلوكات التي ينبغي على المؤمن إتباعها حتى يحوز على محبة الله وبظفر بلقائه.

## 2- الخمریات الصوفية:

تعدّ الخمریات رمزاً للتعبير عن نشوة الحبّ الإلهي، والسُّكر الصّوفي هو الامتلاء بحب الله، وقد عبّر الصّوفيون عن ذلك بكلمات متقابلة عن حالات هذه النشوة ودرجاتها « كالغيبية، الحضور، الصّحو، السُّكر، الذوق، والشّرب وغيرها»<sup>4</sup> وقد استعان الشعراء

1- يوسف زيدان: شعراء الصّوفية المجهولين، دار الجيل، بيروت لبنان، 1996، ط2، ص129.

2- عفيف الدّين التلمساني : الديوان، ج1، ص70.

3- سورة المائدة، الآية 54.

4- عبد الله خضر حمد : ديوان عبد القادر الجيلاني (دراسة أسلوبيّة)، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، دت دط،

الصّوفيون بأوصاف الخمر الحسيّة، إلّا أنهم كانوا يقصدون به السُّكر الروحي، وها هو العفيف التلمساني يعبر عن سكره من حبّ الذات الإلهية حيث يقول:

لَمْ أَقُلْ قَدْ عَدْتُكَ كَأَسْكَ لَكِنْ رُبَّمَا طَوَّحْتَ بِكَ الصَّهْبَاءُ

إِنَّمَا يَشْرَبُ التِّي سَلَبُ الْعَقْلِ نَدَامَى هُمْ لَهَا أَكْفَاءُ

أَسْكُرُوهَا بِهِمْ كَمَا أَسْكُرْتَهُمْ فِي ابْتِدَاهُمْ بِهَا فَتَمَّ الْوَفَاءُ<sup>1</sup>.

والسُّكر الوارد في هذه الأبيات هو سُكرة الأرواح بخمرة المولى عزّوجل، والوفاء في آخر بيت هو الوفاء بالعهد والميثاق التوحيدي الذي تعاهد الصوفية عليه.

وبالرغم من أنّ التغمّي بالخمرة نال الحظّ الوافر من أشعار الصّوفيين، إلّا أنّ الخمرة هنا ليست نفسها الخمرة عند الشعراء الآخرين كأبي نواس وغيره، وإنّما كانت عكس ذلك تماما كما يقول الأستاذ عاطف جودة نصر: « فاستلهمت الخمریات الصّوفیة من الشعر الخمری صورہ وأخیلته وأسالیبه ولم تستلهم ما حفل به من مجون وإباحة<sup>2</sup>، ويقصد هنا بأنّ شعر الخمریات ليس مبتدعاً عند الصوفيين بل إنّه كان موجوداً، وقد استلهموا منه جانبه الحسيّ وصوره التخيليّة وألفاظه التعبيريّة في تبیین شدة الحبّ للخالق عزّوجل.

### 3- الوصف:

ويمثّل الوصف صورة حيّة عن حياة الصّوفي الذي يسعى دائماً لنيل رضا ربه، ولقاءه لقاءً يليق بعظمته وجلاله، ويتجلّى معظم هذا الوصف في وصف الطّبيعة ووصف محاسن المرأة، ويكون هذا الوصف عبارة عن رموز، حيث يتخذ الصّوفيين من الأنثى رمزاً دالاً على الحبّ الإلهي، لأنّ الأنثى تمثّل رمزاً من رموز الجمال المطلق، وحين يوظفها الشاعر في قصائده فإنّه يقصد بها الحقّ والجمال الإلهي فعلى سبيل المثال قول العفيف:

مَعْنَهَا الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ أَنْ تُرَى دُونَ بُرُوعِ أَسْمَاءِ

1- عفيف الدين التلمساني : الديوان، مصدر سابق، ج1، ص70.

2- عاطف جودة نصر : الرمز الشعري عند الصّوفية، دار الأندلس . دار الكندي، 1978، ط1، ص339.

قَدْ ضَلَلْنَا بِشِعْرِهَا وَهُوَ مِنْهَا وَهَدَّتْنَا بِهَا لَهَا الْأَضْوَاءُ<sup>1</sup>

والشاعر هنا لا يقصد بالألفاظ معانيها ف " أسماء " هنا هي معشوقة عربية يشير بها الصوفية إلى الذات الإلهية فلما يُريد معنى خاص به يلجأ إلى ألفاظ الغزل ليجذب السامع إليه ويقرب مشاهد التجلي الإلهي إلى نفسه.

1 - عفيف الدين التلمساني : الديوان، ج1، ص65.

# الفصل الثاني:

الأساليب البلاغية في ديوان العفيف التلمساني

أولاً: مفهوم البلاغة

ثانياً: علوم البلاغة

ثالثاً: دراسة الأساليب البلاغية

(البدیع، البیان، المعاني) في المدونة

# الفصل الأول

قبل أن نتطرق إلى ذكر الأساليب البلاغية علينا أن نعرض أولاً على توضيح وشرح مفهوم البلاغة وذكر علومها، باعتبار أن البلاغة العربية محط التفنن في مختلف أساليب اللغة عبر العصور، إذ تعدّ أهم المباحث العربية التي تتصهر وتتداخل فيها علوم العربية جميعها، بلغتها ونحوها وصرفها، وقد نالت البلاغة الحظّ الوافر من الدراسات لأنّ الهدف الأساسي منها هو فهم إعجاز القرآن الكريم، وفهم كلام النبي "صلى الله عليه وسلم"، ثمّ معرفة أسرار الكلام المنظوم للعرب القدماء (الشعر).

### أولاً: مفهوم البلاغة:

#### أ- لغة:

جاء في لسان العرب في مادة بَلَّغَ: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً وصل وانتهى. والبلاغة: الفصاحة، البَلْغُ البَلِغُ: البليغ من الرجال، ورجل بَلِيغٌ وبَلَّغٌ: حسن الكلام فصيح يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه والجمع بُلغاء، وقد بُلِّغ بالضمّ، بلاغة أي صار بليغاً<sup>1</sup>. وجاء في معجم مقاييس اللغة:

« بُلِّغَ بالباء واللام والعين أصل واحد، هو الوصول إلى الشيء فقولُه بَلَّغْتُ المكان إذا وصلت إليه»<sup>2</sup>.

من خلال القولين السابقين نلمس أنّ كلاً من ابن منظور وابن فارس يتفقان في نفس المعنى اللغوي ألا وهو الوصول والإنتهاء.

#### ب- اصطلاحاً:

حظيت البلاغة العربية بالاهتمام الكبير من قبل الأدباء والبلاغيين قدماء ومحدثين حيث أفردت لها كتب وأبواب شتّى، إلا أن تعريفها لم يخرج عن إطار تصوير المعنى. ومن بين هذه التعريفات نذكر مثلاً تعريف الخطيب القزويني الذي يعدّ أبرز من وضع

1- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، باب الباء (مادة بلغ)، ج5، ص346.

2- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق سوريا، 1979 دط، ص301.

تعريفًا شاملاً للبلاغة في كتابيه "التلخيص" و"الإيضاح" حيث يقول: «البلاغة صفة في الكلام والمتكلم فقط، والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته»<sup>1</sup>

أو بتعبير آخر لكل مقام مقال؛ أي أن يكون هذا الكلام معبرًا عن هذا الحال بشرط أن يكون فصيحًا، والبلاغة وجهان وجه أعلى ووجه أدنى؛ فأما الأعلى فهو خارج عن بلاغة البشر، وهو ما يسمى الإعجاز وهو مختص بكلام الله عزّوجل وما يقرب منه كأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما الأدنى فهو بلاغة البشر.

ويعرّفها أبو هلال العسكري بقوله: «البلاغة كلّما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرضٍ حسن»<sup>2</sup>.

أي أنّ الهدف الرئيسي للبلاغة هو إيصال المعنى إلى المتلقّي في أحسن قالب حيث تستسيغه الأذن والقلب معًا، فلو كانت العبارات رديئة ومعرضها حسن فهذا الكلام لا يسمى كلامًا بليغًا حتّى لو كان معناه جليلا وغير مبهم.

### ثانيا: علوم البلاغة:

ينقسم علم البلاغة إلى ثلاثة علوم فرعية وهي: علم البديع وعلم البيان وعلم المعاني.

#### 1- تعريف علم البديع:

يعدّ علم البديع أحد أهم فروع علم البلاغة، ويختص بتحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية، ويعدّ ابن المعتز من السّباقيين إلى هذا العلم، وقبل أن نتعرّف على فحواه علينا أولاً ضبط مفهوم هذا المصطلح.

#### أ- لغة:

جاء في لسان العرب في مادة بدع: «بَدَعَ الشَّيْءُ يُبَدِّعُهُ بَدْعًا وَابْتَدَعَهُ: أَنْشَأَهُ وَبَدَأَهُ وَبَدَعَ الرَّكِيَّةَ: اسْتَبَطَهَا وَأَحْدَثَهَا... والبديع والبِدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوَّلًا...»

1- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ط1، ص 20.

2- الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (أبو هلال): كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر -، تح: علي محمد البجاوي - أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى البابلي الحلبي، القاهرة مصر، 1952، ط1، ص 8.

والبدعة: الحدث وما ابتدئ من الدين بعد الإكمال والبدعة كل محدثة»<sup>1</sup>

ب- اصطلاحاً:

يعرفه ابن سنان الخفاجي بقوله: « هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمناً من السياق وما يحيط به من القرائن»<sup>2</sup> أي أن نختار التركيب اللغوي المناسب للموقف الذي يناسبه.

2- أقسام علم البديع:

وتنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين محسنات معنوية ومحسنات لفظية.

أ- المحسنات البديعية المعنوية:

أما المحسنات المعنوية فهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً ومن بين هذه المحسنات:

1- الطباق:

وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام ويكون إما بالسلب أو بالإيجاب. قد وظّفه العفيف التلمساني بنوعيه حيث لا تكاد قصيدة من قصائده تخلو منه. ومن طباق الإيجاب ونجد قوله:

قَدْ ظَلَلْنَا بِشِعْرهَا وَهُوَ مِنْهَا وَهَدَّئْنَا بِهَا لَهَا الْأَضْوَاءُ<sup>3</sup>

ويطابق الشاعر هنا بين (الظلاله، والهدى) مستغلاً هذه المطابقة في بيان فضل الذات الإلهية وبأنها السبب في هدايته بعد ظلاله، وقوله:

جَمَالِكَ لِي عَيْشٌ وَصَدِّكَ لِي رَدَى فَأَنْتَ الَّذِي تُبْلِي وَأَنْتَ تُفَرِّجُ<sup>4</sup>

وأيضاً قوله:

1- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، باب الباء (مادة بدع) ، ص 229.

2- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، تح: إبراهيم شمس الدين، ، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، د ت، ط 1، ص 8.

3- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 67.

4- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص 153

فَأوَّلُ أَنْتَ مِنْ قَبْلِ الظُّهُورِ لَنَا وَآخِرُ أَنْتَ عِنْدَ النَّازِحِ النَّائِي

وَبَاطِنٌ فِي شُهُودِ الْعَيْنِ وَاحِدُهُ<sup>1</sup>      وَظَاهِرٌ لِامْتِيَازَاتِ بِأَسْمَاءٍ<sup>1</sup>

وهنا طابق الشاعر بين ( أول، آخر) وبين (باطن، ظاهر) وهذا إن نلّ على شيء فإنما يدل على أنّ الشعر الصّوفي قائم على التثانيات الضديّة، لأنّ ذكر الشيء وضده يساهم بشكل كبير في توضيح المعنى وتقريبه.

ومن طباق السلب قوله:

وَقُلْ قَضَى ذَلِكَ الْمَشُوقُ بِكُمْ      وَمَاقِضَى مِنْ وَصَالِكُمْ أَرَبًا<sup>2</sup>

وهنا طابق الشاعر بين (قضى، وماقضى) وهو طباق السلب.

أيضا في قوله:

وَلِي فِي مَا يُقَالُ كَلَامٌ حُرٌّ      وَفِيَمَا لَا يُقَالُ سُكُونٌ عَبْدٌ<sup>3</sup>

والطباق هنا بين (يُقَالُ، ولا يُقَالُ) وبين (كلام، سكُونُ)، وبين (عبد، وحرّ)

ويمكن أن نقول أن في هذا البيت مقابلة، ولم يكتف عفيف الدّين التلمساني بنوع واحد من الطّباق بل نوع بحسب ما تقتضيه أفكاره، وهذا دليل على مقدرة الشاعر الإبداعية.

## 2- المقابلة:

يعرّفها الباقلاّني بقوله: «المقابلة هي أن يوقّق بين معانٍ ونظائرها، والمضادّ بضده»<sup>4</sup>.

بمعنى أن يؤتى بأكثر من معنيين متضادين، ثم يؤتى بما يقابل ذلك مع الترتيب.

ونجدها تتجلى في قول عفيف الدّين التلمساني:

1- عفيف الدّين التلمساني : الديوان، ص 68.

2- المصدر نفسه، ص 105.

3- المصدر نفسه، 219.

4- أبو بكر حمد بن الطيّب الباقلاّني : إعجاز القرآن الكريم، تح: صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت

لبنان، 1996، ط1، ص 68.

وَأَوْحَى الَّذِي أَسْرَى إِلَى سِرِّ عَبْدِهِ فَأَصْبَحَ جَهْرًا فِي الْمُحِبِّينَ سَيِّدًا<sup>1</sup>

وهنا يمكن القول بأنّ هناك مقابلة بين ( سرّ، وجهر) و(عبد، وسيد).

وعلى الرّغم من كثرة هذا النوع من المحسنات اللّفظية البديعية المعنوية إلا أنّ التلمساني قد أجاد فيها.

### 3- التورية:

تعرف التورية بأنّها ذكر لفظ واحد له معنيان: أحدهما قريب ظاهر غير مراد والثاني خفي وهو المراد، والتورية عند البلاغيين هي الإبهام وقد كثرت التوريات في شعر التلمساني وتعددت بتعدد المعاني التي كان يريد إبلاغها، فعلى سبيل المثال نجد في قوله:

وَاعْجَبَا وَالدُّمُوعُ فِي حَلْبٍ وَالْقَلْبُ حَرَّانٌ وَهُوَ فِي صَفَدٍ<sup>2</sup>

وفي هذا البيت تتجلى لنا التورية من خلال ذكره أسماء الأماكن (حلب، حرّان وصفد) فحلب هنا بمعنى حلب الدّموع، وحران هنا بمعنى حرارة قلب المحبّ، وأمّا الأصفاذ فهي أصفاذ القلب.

وهناك أيضًا عدة توريات بمصطلحات نحوية كقوله:

مَنْعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ أَنْ تُرَى دُونَ بُرُقِعِ أَسْمَاءٍ<sup>3</sup>

فالمعروف أنّ الصّفة والاسم مصطلحان نحويان وظّفهما الشّاعر للدلالة على محبوبته وهي الذات الإلهية.

كما نجده يوظّف التورية بمصطلحات دينية فيقول:

حَرَامٌ عَلَى الْعِيدِينَ طَرْفِي وَمَسْمَعِي لِأَنَّكَ يَا مَوْلَايَ فِطْرِي وَالْأَضْحَى<sup>4</sup>

وهناك أيضا عدة مصطلحات دينية (برزخ البحرين، يسجد، صلاتي، الإسراء) والتي

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص218

2- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص211.

3- المصدر نفسه، ص65.

4- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص170.

وظَّفها الشَّاعر بشكل ظاهر لكن مبتغاه باطن وخفي ، لا نفهمه إلا إذا تعمقنا في فهم المعاني الصَّوفية .

ومن خلال استعراضنا لهذه الشواهد لا يسعنا إلا القول بأنَّ عذوبة الشَّعر الصَّوفي تكمن في جودة ألفاظه، وحسن معانيه والتي قمنا باكتشافها من خلال تحليل الجانب الإبداعي فيه.

**ب- محسنات بديعية لفظية:**

وهي التي يكون التحسين فيها راجع إلى اللَّفظ ومن بين هذه المحسنات:

### 1-الجناس:

يعرف الجناس بأنه : «تشابه اللَّفظان في النَّطق واختلافهما في المعنى؛ وهو نوعان: تام وهو ما اتفق فيه اللَّفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، شكلها، عددها وترتيبها. وغير تام: وهو ما اختلف فيه اللَّفظان في واحد من الأمور المتقدِّمة»<sup>1</sup>.

ويعدّ الجناس من أقدم الأساليب التي حظيت باهتمام النقاد العرب، وقد وظَّفه عفيف الدِّين التلمساني في قصائده بوجهين: الأوَّل مطبوع والآخر متكلَّف.

ومن بين الجناس التي ساهمت في تقريب المعنى توضحه نجد قوله:

واصلوني بَعْدَ بُعْدِي      ورَعُوا سَالِفَ عَهْدِي<sup>2</sup>

وفي هذا البيت نجد أنَّ الشَّاعر جانس بين(بَعْدَ، وبُعْدِي) فالأولى بمعنى وهلة، وأمَّا

الثَّانية فبمعنى الإبتعاد.

كما نجده في قوله:

أُعِيرُ الشَّمُولَ الصَّرْفَ سُكْرَ شَمَائِلِي      وأُهدِي إِلَى بَانَ الْجَمَى حُسْنَ خَطْرَتِي<sup>3</sup>

وقد جانس عفيف الدِّين التلمساني هنا بين(الشَّمُولَ وشمائلي) فالشَّمُولُها بمعنى الخمر

التي عرضت لريح الشمال حتى تبرد ، وأمَّا الشمائلي فهي الأخلاق والطبائع.

1- علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة( البيان- المعاني، البديع) دار المعارف، مصر، دت، دط ص265.

2- عفيف الدِّين التلمساني:المصدر السابق، ص191.

3- عفيف الدِّين التلمساني، الديوان،مصدر سابق ، ص137.

وقوله:

وَمَعْنَى بِهِ كَانَ الْحَبِيبُ مُنَادِمِي وَمِنْ قُرْبِهِ رُوحِي وَرَاحِي وَرَاحَتِي<sup>1</sup>

وهنا يجانس الشاعر بين ثلاثة ألفاظ (الروح، الراح، الراحة) فالروح هي سرٌّ ونفحة من نفحات الخالق عز وجل، الراح هي الخمر، وأما الراحة فهي السكينة والطمأنينة والارتياح النفسي والجسدي.

وأيضاً قوله:

هَآكَ قَلْبِي فَسِرْ بِهِ لِلْحِمَى دُونَ سَرِّهِ<sup>2</sup>

وهنا جانس الشاعر بين (سَرِّهِ، وَسِرِّهِ) فسَرِّهِ الأولى بمعنى اذهب أو امضي، أما الثانية فبمعنى منزله أو مسكنه ومن حوله. والملاحظ هنا أنّ عفيف الدين مولع بالجناس الناقص، أما الجناس التام فلا نلمسه إلا في القليل من الأبيات .

وعلى الرغم من أنّ الشاعر التلمساني قد أجاد في استخدامه للجناس إلا أنّ هناك بعض الجناسات اعترها التكلف، ونجد ذلك في قوله:

تَنَنَّتْ فَظَنُّوا أَنَّهَا تَنَوِيَةٌ وَقَدْ يَتَنَّى قَدُّهَا وَهوَ الْفَرْدُ<sup>3</sup>

وأيضاً قوله:

لَكَ الْخَيْرُ دَاعِي الْخَيْرِ أَسْعِدِ يَا سَعْدُ إِذَا مَانَهَى عَنْهُ النَّهْيُ وَدَعَا الْوَجْدُ

فَإِنَّ عُقَالَ الْعَقْلِ يَدْعُو إِلَى السَّوَى وَوَصَلَ السَّوَى فَصَلُّ وَوَجِدَانُهُ فَقْدُ<sup>4</sup>

والملاحظ على هذه الأبيات أنّ الشاعر قد أسرف كثيراً في توظيفه للجناس، لكن وعلى الرغم من تعدد الجناسات المتكلفة إلا أنّ الشاعر لم يغفل على الناحية الدلالية وصياغة المعنى صياغة سليمة.

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، مصدر سابق، ص 136.

2- المصدر نفسه، ص 110.

3- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 213.

4- المصدر نفسه، ص 212.

## 2- السَّجْع: التشطير

يعرّف السَّجْع بأنه «توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره»<sup>1</sup> أي أنّ السَّجْع هو توافق أواخر فواصل الجمل، وعلى سبيل المثال قوله:

يَا حَبْدًا الْكَأْسُ بِكَفِّ الْحَبِيبِ      أَذَابَتْ الْأَنْوَارَ وَسَطَ اللَّهَيْبِ<sup>2</sup>

والسَّجْع في هذا البيت بين كلمتي ( الحبيب، واللَّهيب )

وفي بيت آخر يقول:

غَرَامِي بِكُمْ مَا أَلَذَّ وَأَطْيَبًا      وَفِي حُبِّكُمْ أَهْلًا بِسُقْمِي وَمَرْحَبًا<sup>3</sup>

والواضح هنا أنّ السَّجْع بن كلمتي (أطيبا، ومرحبا) لتوافقهما في آخر الحرفين، وقد أضاف السَّجْع لشعر العفيف نغما موسيقيا وإيقاعا فنياً تتجذب له المسامع وتترسخ به الأفكار، وهذا أهم مراد للأدباء خاصة الأدباء الصوفيين.

## 3- التصريح:

لا يكاد يخلو مطلع من مطالع قصائد عفيف الدين التلمساني من التصريح، الذي يُعرف بأنه تماثل المقطع الأخير من الشطر الأول مع القافية، والذي كان أحد أهم شروط قيام القصيدة العربية القديمة، وقد عبّر عنه ابن رشيق القيرواني بقوله: « فأما التصريح فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته»<sup>4</sup>.

ومن خلال اطلاعنا على قصائد عفيف الدين التلمساني نلاحظ أنّه كان حريصاً كلّ الحرص على تصريحها فعلى سبيل المثال قوله:

غَرَامِي فِيكُمْ مَا أَلَذَّ وَأَطْيَبًا      وَفِي حُبِّكُمْ أَهْلًا بِسُقْمِي وَمَرْحَبًا<sup>5</sup>

1- علي جارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص273.

2- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه ، ص115.

3- المصدر نفسه، ص119.

4- أبو الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، دار الجيل، بيروت لبنان، 1981 مط5،

ص173.

5- عفيف الدين التلمساني: الديوان ، ص119.

وقوله:

لا تُخَدَعَنَّ بِرِقَّةٍ فِي حَدِّهِ فَالسَّيْفُ قَتَالٌ بِرِقَّةٍ حَدِّهِ<sup>1</sup>

وأيضاً قوله:

نَسِيمُ الصِّبَا أَذْكَرْتُي الْعَهْدَ بِالْوَادِي وَهَيَجَنَ أَشْوَاقًا شَقَقَنَ فُؤَادِي<sup>2</sup>

فلو تأملنا كلا من العروض والضرب في الأبيات السابقة نجد أنهما متطابقان من حيث الوزن في البيت الأول على سبيل المثال: مفاعلن (0//0//)، والحركة الإعرابية هي (الفتحة) وحرف الزوي هو (الباء).

وكما يأتي التصريح في مطلع القصيدة يمكن أن يكون وسطها، نحو قول التلمساني:

يَمِينًا كَذَا يَا عَاذِلِي عَنْ مَلَامَتِي وَإِنْ شِئْتَ خُذْ بِالْعَدْلِ عَنِّي بِبُسْرَةٍ<sup>3</sup>

فهذا البيت رغم احتواءه على التصريح إلا أنه ليس مطلعاً وإنما هو بيت كغيره من البيوت داخل أجزاء القصيدة.

وبهذا فإن موسيقى التصريح قد أبرزت لنا جانباً جمالياً مؤثراً يتردد لنا بين الحين والآخر، مما يُنتج نغماً يستمتع به القارئ أثناء قراءته لهذا الديوان.

#### 4- الاقتباس:

يُعرف الاقتباس بأنه: « تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منها، ويجوز أن يغيّر في الأثر المقتبس قليلاً »<sup>4</sup>. أي أن نسند أجزاء من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة دون الإشارة إلى ذلك، ونجد هذا الاقتباس واضحاً وجلياً في بعض أبيات عفيف الدين التلمساني والتي نذكر منها قوله:

وَاسْجُدْ لَهُمْ وَاقْتَرِبْ فَعَاشِقُهُمْ يَسْجُدُ شَوْقًا لَهُمْ وَيَقْتَرِبُ<sup>1</sup>

1- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص 200.

2- المصدر نفسه، ص 222.

3- المصدر نفسه، ص 137.

4- علي جارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، مصدر سابق، ص 270.

والعبارة المقتبسة هنا في هي (واسجد لهم واقترّب) وهي مقتبسة من القرآن الكريم وبالأخصّ من سورة العلق في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾<sup>2</sup>.  
وأيضاً قوله:

فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُدِيرِ وَغِبْ عَنِّ اللّٰحِي تَرَى فِي حَالَتَيْكَ نَجَاحًا<sup>3</sup>

ونلاحظ هنا أنّ عبارة (فاخفض جناحك) مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾<sup>4</sup>.

ومن خلال هذه الأبيات يتضح لنا أنّ التلمساني وظّف الاقتباسات من القرآن الكريم بشكل كبير وذلك لأنّ طبيعة الموضوع (الحبّ الإلهي) تقتضي ذلك.

#### 4- تعريف علم البيان:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب: «بين الشيء: ظهر... وقالوا بأنّ الشيء بان واستبان، وتبين وأبان، وبين معنى واحد، والبيان ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بياناً اتضح فهو بيّن، والجمع أنبياء، وكذلك أبان الشيء فهو مبين»<sup>5</sup>.  
ومفهوم البيان هنا هو الإظهار والإيضاح والكشف.

#### ب- اصطلاحاً:

وردت عدة تعاريف لعلم البيان فكلّ يعرفه حسب وجهة نظره، فالجاحظ يعرفه بقوله: « هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب: دون الضمير حتّى يُفضى السّامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنًا ما كان، ذلك البيان، ومن أي جنس كان

1- عفيف الدّين التلمساني: الديوان، ص 77.

2- سورة العلق، الآية 19.

3- عفيف الدّين التلمساني، المصدر السابق، ص 166.

4- سورة الإسراء، الآية 24.

5- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، باب الباء (مادة بين)، ص 406.

الدليل لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام؟ فأبي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»<sup>1</sup>.  
ومن خلال هذا القول نلمس أن الجاحظ بيّن لنا أنّ البيان هو الكشف والهدف منه هو الفهم والإفهام دائما.

ويعرفه القزويني بقوله: «هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»<sup>2</sup>. أي أنّ المهم في علم البيان هو إيصال الفكرة وتقريبها إلى الذهن بأساليب مختلفة.

ويهتم علم البيان بدراسة الصوّر البيانيّة الأدبيّة، لذلك فقد تهافت الأدباء والشعراء إلى اختراع هذه الصوّر وتوظيفها في أشعارهم، ومن بين هذه الصوّر نجد: التّشبيه، الاستعارة الكناية والمجاز.  
**أولاً: التّشبيه:**

يعتبر التّشبيه أحد أهمّ الأصول الأساسيّة لعلم البيان، فبفضله يثوى المعنى ويصير أكثر وضوحاً وقرباً إلى ذهن المتلقي.  
**أ- لغة:**

جاء في لسان العرب: «شَبَّهُ والشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ والشيءَ مائتة.

وفي المثل (من أشبه أباه فما ظلم).  
وأشبه الرّجل أمةً إذا عجز وضعف»<sup>3</sup>.  
**ب- اصطلاحاً:**

1- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) : البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 1998، دط، ص67.

2- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص 123.

3- ابن منظور: لسان العرب، باب الشين (مادة شبه)، ج25، ص 2189.

يعرف التّشبيه في الاصطلاح بأنّه: « صفة الشّيء بما يقاربه ويشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»<sup>1</sup>.  
 أي أن يتقاطع شيان في صفة واحدة موحدة أو في عدّة صفات، لكن بشرط أن لا يكون هذا التقاطع في كلّ الصّفات، فلو كان كذلك لأصبح نفسه وليس شبيهه.  
 ويعرّفه قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر بأنّه: يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمّهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كلّ واحد منهما بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التّشبيه، وهو ما أوقع بين الشّيئين اشتراكهما في الصّفات أكثر من انفردهما فيها، حتى يدنى بها إلى حال الاتحاد»<sup>2</sup>، وقدامة بن جعفر هنا يذكر لنا العلاقة المشتركة بين الطرفين بحيث تكون أوجه التّشابه أكثر من أوجه الاختلاف، حتّى يصل إلى مرحلة التماثل.

وللتشبيه أربعة أركان أساسية هي: المشبّه، المشبّه به، أداة التّشبيه ووجه الشبه كما أنّ له عدة أنواع وهي كالآتي:

- 1- تشبيه تام (مرسل، مفصل): وهو ما ذكرت فيه الأركان الأربعة: (المشبّه والمشبّه به الأداة، ووجه الشبه).
- 2- تشبيه مؤكد: وهو ما حذف منه الأداة مع الإبقاء على وجه الشبه.
- 3- تشبيه مجمل: وهو ما حذف منه وجه الشبه.
- 4- تشبيه بليغ: وهو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه.
- 5- تشبيه تمثيلي: وهو تشبيه صورة بصورة.

وللتشبيه أهمية بالغة في تشكيل الصّورة الشعريّة، وبلوغ مراتب البلاغة بين الشعراء وقد تمظهر التّشبيه في شعر العفيف التلمساني على النحو الآتي:

1- إنعام نوال مكايي: علوم البلاغة (البدیع، البيان، المعاني)، تر: أحد شمس الدّین، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1986، ط2، ص123  
 2- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد الله عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دت، ط ص 124.

في قوله:

كَأَنَّ النَّهْرَ سَيْفٌ مَشْرِقِي      لَهُ فِي كَفِّ صَيْقَلِهِ اضْطِرَابٌ  
تُجَرِّدُهُ يَمِينِ الشَّمْسِ طَوْرًا      وَطَوْرًا بِالظَّلَالِ لَهُ قِرَابٌ  
يُعَابُ السَّيْفُ إِذْ فِي جَانِبِيهِ      فُلُولٌ وَهُوَ مِنْهَا لَا يُعَابُ<sup>1</sup>

من خلال هذه الأبيات نلاحظ أنّ هناك صورة تشبيهية، فقد شبه الشاعر السيف بالنهر عند تعرضه للشمس حيث يكون لامعًا براقًا مثله، كما شبه الظلال حول حافيتي النهر بغمد السيف، أمّا في البيت الثالث فبيّن لنا أنّ الفرق بينهما في الفلول أو الهزيمة، فالسيف قابل للهزيمة، بينما يتميّز النهر بالصمود والثبات .

وأيضًا في قوله:

وَأَرْقُبُ الْبَرْقَ لَأَسْفِيَاهُ مِنْ أَرْبِي      لَكِنَّهُ مِثْلُ حَدْيِهِ لَهُ لَهَبٌ<sup>2</sup>

وفي هذا البيت تجلت لنا صورة تشبيهية بين المتشابهين ( البرق، الخدين)، فقد شبه الشاعر البرق اللامع الأحمر الذي يعتري جانبيه البياض، بحمرة الخدود في الوجه الأبيض عندما ينتاب صاحبها الخجل.

وقد طغى هذا النوع من التشبيه في ديوان العفيف التلمساني باعتباره يقوم على الشرح والتوضيح.

ونجد تشبيهًا آخر في قوله:

جَمَالُكَ لِي عَيْشٌ وَصَدُّكَ لِي رَدَى      فَأَنْتَ الَّذِي تُبْلِي وَأَنْتَ تُفَرِّجُ<sup>3</sup>

ونجد أنّ هناك مساواة بين المشبه والمشبه به فالجمال هو الحياة والوجود والمعرفة والمحبة الإلهية، وأمّا الصدود في قوله وصدك لي ردّى فيمثل الموت والبعد والجفاء.

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 93.

2- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص 95.

3- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 153.

ومن الصّور الأخرى التي ورد عليها التشبيه قوله:

نَشْوَانٌ مِنْ طَرْبِ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ غُصْنٌ يَمِيلُ مَعَ الصَّبَا مُرْتَبِحًا<sup>1</sup>

حيث شبه نشوته عند الطرب وهو يتمايل ويرقص ويمارس شطحاته الصّوفية بالغصن الذي تحركه الرّيح فيميل يمينا تارة وشمالا تارة أخرى.

ومن هذا فإنّ عفيف الدّين التلمساني قد وظّف التشبيه قصد استعماله كوسيلة فنية وإبداعية للتعبير عن تجربته الروحية، والغرض من هذا التشبيه هو التأكيد.

### ثانيا: الاستعارة:

تعدّ الاستعارة أحد أهمّ أدوات التّصوير الفنّي والنّوع الثّاني من أنواع البيان، وهي كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي، وتعتبر الاستعارة تشبيها بليغاً.

أ- لغة:

جاء في لسان العرب: «العورُ: ذهابُ حسّ إحدى العينين، وقد عورَ عوراً وعارَ يعارُ وعوراً وهو أعور والجمع عورٌ وعوران، وقال الجوهري: العارِيّة بالتشديد كأنّها منسوبة إلى العار لأنّ طلبها عيب وعار.

واستعار: طلب العارِيّة، واستعاره الشّيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه»<sup>2</sup>.

ومن خلال قول ابن منظور نرى أن كلمة "استعارة" يختلف معناها باختلاف موقعها في الجملة.

### ب- اصطلاحاً:

يعرّفها عبد العزيز الجرجاني بقوله: «إنّما الاستعارة ما اكتفى فيها باسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشّبّه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتّى لا يوجد بينهما منافرة»<sup>1</sup>

1- المصدر نفسه: ص 165.

2- ابن منظور: لسان العرب، باب العين (مادة عور)، ج36، ص3164.

أي أنّ في الاستعارة يكتفى بذكر أحد الطرفين على أن تكون هناك مناسبة بينهما، كما يجب أن تكون الألفاظ مطابقة لمعانيها حتّى لا يكون هناك عدم انسجام بينهما.

وقد أفرد أبو هلال العسكري للاستعارة فصلاً بأكمله في الباب التاسع من كتابه الصناعيتين -الكتابة والشعر- فيعرفها بقوله: «الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه»<sup>2</sup>؛ أي أن نقل العبارة من موضعها الأصلي الذي وضعت لأجله والتي تعارف عليها علماء اللّغة العربيّة إلى موضع آخر قصد إبراز جمالها ورونقها والغاية من ذلك إمّا الشرح أو التأكيد أو المبالغة.

وأما أركان الاستعارة فهي كالآتي:

- أ- المستعار منه: وهو اللفظ الذي نستعير منه الصّفة أو الكلمة وهو بمنزلة المشبّه به.
- ب- المستعار له: وهو اللفظ الذي تستعار من أجله الصّفة أو الكلمة وهو بمنزلة المشبّه.
- ت- المستعار: وهو الصّفة أو الكلمة التي تجمع بين طرفي الاستعارة وهو بمنزلة وجه الشبّه.

وبما أنّ الاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه إمّا المشبّه أو المشبّه به فهي نوعان: تصريحية ومكنية.

فأمّا التّصريحية فهي ما صرّح فيها بالمشبّه به دون المشبّه.

وأما المكنية فهي التي حذف منها المشبّه به وأبقى على قرينة لفظية دالة عليه.

1- علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبى وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- على محمد البجاويط، دار عيسى البابي الحلبي، 1966، ط، ص 41.

2- الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (أبو هلال) : كتاب الصناعيتين، مصدر سابق، ص 178.

وقد اهتم عفيف الدين التلمساني بالاستعارة المكنية كاهتمامه بالتشبيه، كما اهتم كثيرا بالاستعارة المكنية أكثر من اهتمامه بالاستعارة التصريحية ومن الصور الرائعة التي تلفت النظر ما ورد في قوله:

وَهَبُّكَ سُلْوَانِي وَصَبْرِي كِلَاهُمَا وَأَمَّا غَرَامِي فَهَوَ مَا لَيْسَ يُوهَبُ<sup>1</sup>.

وهنا شبه الشاعر الصبر والسلوان بشيء مادي يوهب فحذف المشبه به وهو (الهبّة) وأبقى على قرينة لفظية دالة عليه وهي (وهبتك) على سبيل الاستعارة المكنية. وفي بيت آخر يقول:

وَفَاحَ شَدَا أَنْفَاسِهَا فَتَضَرَّرَتْ نُفُوسٌ عَلَيَّهَا الْجَهْلُ عَاتٍ وَعَائَتْ<sup>2</sup>

وهنا شبه الشاعر الجهل بالإنسان الذي يفسد فحذف المشبه به وهو (الإنسان) وأبقى على قرينة لفظية دالة عليه وهي (عات) على سبيل الاستعارة المكنية. وأيضاً قوله:

تَلَمَّتْ فُؤَادِي بِالنَّوَى فَجَبَّرْتُهُ بِصَبْرٍ بِهِ أَبْرَمْتُ مَا أَنْتَ تَتَكُثُ<sup>3</sup>

شبه الشاعر هنا النوى بشيء مادي يحدث شقاً في القلب كالمشرح فحذف المشبه به (المشرح) وأبقى على قرينة لفظية دالة عليه (تلمت) بمعنى كسرت على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي بيت آخر يقول:

إِذَا زَمَزَمَ الْحَادِي بِالْحَانَ حُبَّهُمْ يَسَابِقُهُ رَكْبٌ مِنَ الدَّمْعِي حَدِّي<sup>4</sup>

أمّا هنا فشبه عفيف الدين كثرة الدموع على خديه بركب من الخيل يسابقه، فحذف المشبه به (ركب الخيل) وأبقى على قرينة لفظية دالة عليه على سبيل الاستعارة المكنية.

ثالثاً: الكناية:

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 81

2- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص 143.

3- عفيف الدين التلمساني: لديوان، ص 146.

4- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص 183.

تعد الكناية إحدى أهم القيم التي تساعد في تصوير المعنى أحسن تصوير.  
أ- لغة:

جاء في لسان العرب: «كنى: الكنية على ثلاث أوجه أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، أو أن يكنى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً، أو أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه.

والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه»<sup>1</sup>.

أي أن الكناية أن تتكلم عن شيء وتقصد به شيئاً آخر.

#### ب- اصطلاحاً:

اختلف النقاد والبلاغيون حول مصطلح الكناية فكل ينظر إليه من وجهة نظره، فما هو عبد القاهر الجرجاني يعرفها بقوله:

« المراد بالكناية هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً»<sup>2</sup>.

والكناية هنا هي محاولة إثبات معنى من المعاني ولا يصرح به بل يلمح له يجعله بمثابة الدلالة عليه.

ويوضح أكثر في موضع آخر قوله عن الكناية: «...وكما أن الصفة إذا لم تأتكم مصرحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولها بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه في السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق»<sup>3</sup>؛ وهنا يرى الجرجاني أن الصفة إذا لم يصرح بها ودل عليها بلفظ آخر كان شأنها أعظم ومكانها

1- ابن منظور: لسان العرب، باب الكاف (مادة كنى)، ج4، ص3944.

2- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: فائزة الداية ومحمد الداية، دار الفكر، دمشق سوريا، 2007 ط1، ص110.

3- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 304.

أرفع ، فإذا أردت إثبات تلك الصفة في ذهن السامع عرضت بها أو كنييت عنها أو رمزت لها، وبذلك تكتسي العبارة حسناً وبهاءً ورونقاً.

وتتقسم الكناية حسب المعنى المكنى به إلى:

كناية عن صفة.

كناية عن موصوف.

كناية عن نسبه.

وقد حظيت الكناية باهتمام الشاعر كيف لا وهو من كبار المتصوفين فشعر الصوفية يهتم بالدرجة الأولى بالإشارات والرموز والإيماءات، ومن الصور الكنائية في شعره ما جاء على لسانه وهو يصف الخمرة:

إِنَّمَا يَشْرَبُ الَّتِي تَسْلُبُ الْعَقْلَ نَدَامَى هُمْ لَهَا أَكْفَاءُ<sup>1</sup>

فالشاعر في هذه الأبيات لم يصرح بالخمرة وإنما كنى عليها بصفة من صفاتها وهي أنها تسلب العقل وتذهب به.

وأيضاً نجد في قوله:

أَبِيْتُ أَعَانِي فِيهِ حَرَّ جَوَانِحِي وَبَيْنَ جُفُونِي مَدْمَعٌ لَيْسَ يَرَقُّ<sup>2</sup>

والشاعر في هذه الأبيات لم يصرح بعبارات شوقه وحنينه ولهفته بل صرح في ذلك بعبارة "أبيت أعاني" وهي هنا كناية عن صفة.

والشاعر هنا يرشف من معين الكناية صوراً تكون بالكناية أفصح وبالتعريض أوقع في النفس، كما يقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: «الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح»<sup>3</sup> أي أنها تزيد في قوة المعنى وتأكده، وما براعة وروعة الكناية إلا دليل على براعة الشاعر الذي يقول:

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان ، ص 67.

2- عفيف الدين التلمساني:المصدر نفسه ، ص70.

3- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص113.

فَأُولَعُوا بِالْقُدُودِ مَيَاسَةً أَعْطَافُهَا وَالْمَبَاسِمُ الشُّنْبُ<sup>1</sup>

وقد كنى الشاعر في هذا البيت بياض الأسنان وبريقها بالقدود المياسة والمعنى المراد هنا أنّ الصّور المستحسنة هي إشارات للجمال الأزلي وتعلق الصّوفي إنّما يكون بجوهر الجمال لا بظاهره، وهي كناية عن صفة.

كما نجد في قوله:

جُفُونِي مِنْ ذَلِكَ الْحِجَابِ قَرِيحَةً      فَلَا دَمْعَ إِلَّا وَهَوَ بِالِدَّمِ يَخْرُجُ<sup>2</sup>

وفي هذا البيت نجد أنّ الشاعر عبّر عن شدّة بكائه بعبارة جفوني قريحة، والبكاء عند الصوفية إنّما هو دليل على فيض الوجد وقوة الإحساس وهو أهم وسيلة للإفصاح عن أوجاع القلوب.

وأغلب الكنايات الواردة في شعر العفيف التلمساني كانت كناية عن صفة وكناية عن موصوف، أمّا بالنسبة للكناية عن النسبة فنجدها تكاد تنعدم ومن أمثلة ذلك قوله:

لَمِنْ خِيَمٍ تُلُوحُ بِيَدِي طُلُوحٍ      تَضَوَّعَ نَشْرُ قَيْصُومٍ وَشَبِيحِ  
دِيَارٍ بِالْعَوَاصِمِ ذَاتُ سَفْحٍ      لِسَلْمَى دَائِمُ الدَّمْعِ السَّفُوحِ<sup>3</sup>

وعفيف الدّين التلمساني هنا نسب التلويح والرائحة الطيبة الزكية للخيمة أو الديار وهذه الديار تعود لسلمى.

ومن خلال ما سبق نلمس أنّ الشاعر وبفضل خياله الواسع استطاع أن ينسج لنا صوراً في قمة البلاغة والبيان، عبرت تعبيراً عميقاً عن معنى الشّعر الصوفي، والمكانة الرّفيعة التي يترعّ عليها.

رابعاً: المجاز:

أ- لغة:

1- عفيف الدّين التلمساني:المصدر السابق ، ص 97

2- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص: 152.

3- المصدر نفسه، ص157.

جاء في لسان العرب: «جَوَزَ: جزت الطريق وجاز الموضع، جوزًا وجوؤرًا وجوزًا ومجازًا وجايزه وجاوزه جوازًا أو أجازه وأجاز غيره وجاهزه: سار فيه وسلكه وأجازه خلفه وقطعه»<sup>1</sup>.

كما نجد أنّ الرّمخشري في أساس البلاغة لم يخرج عن هذا التعريف.

### ب- اصطلاحاً:

ذكر مصطلح المجاز في معظم المؤلفات البلاغية والنقدية إن لم نقل كلها، لأنه يعدّ أحد أهم مميزات لغة الضاد، وذلك بتركه قيمة جمالية وفنية في نفوس متلقية.

وقد عرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً»<sup>2</sup>.

من خلال قول الجرجاني نفهم أنّ المجاز هو إسناد الفعل لغير فاعله الأصلي، وقد وظّف عفيف التلمساني المجاز في قوله:

ضَرَبُوا حَيْمَةَ الْمَلِيحَةِ فِي الرُّوضِ وَأَجْرُوا أَنْهَارَهَا مِنْ بُكَائِي<sup>3</sup>

المجاز هنا هو مجاز مرسل علاقته المكانية، حيث ذكر المكان وهو (أنهارها)، لأنّ الذي يجري المياه وليس الأنهار.

كما نجد مجازاً آخر في قوله:

وَمَا لَبِثْتُ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا وَإِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ فِيهَا إِنْ تَأَمَّلْتَ لَابِثُ<sup>4</sup>

1- ابن منظور: لسان العرب، باب الجيم (مادة جوز)، ج9، ص 724.

2- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد شيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص342.

3- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص69.

4- عفيف الدين التلمساني، المصدر نفسه، ص145.

والمجاز هنا هو مجاز عقلي حيث وقع إسناد إلى الزمان، وقد استعمل الشاعر المجاز ولو بالشيء القليل قصد إضفاء جمالٍ وانسجام في قصائده، وكذلك كي يرفع مستوى تأثيره في القارئ، وهذه إحدى أهم مميزات الشعر الصوفي.

### 3- تعريف علم المعاني:

يعدّ علم المعاني ثالث فروع البلاغة حيث يختص بدراسة الأفكار والمعاني، والتراكيب اللغوية، وعلاقة الجمل بعضها ببعض.

#### أ- لغة:

جاء في لسان العرب: «مَعَنَ: معن الفرس ونحوه يَمَعُنُ مَعْنًا وَمَعَنَ، كلاهما: تباعدا عاديًا وفي الحديث: أمعنتم في كذا أي بالغتم... والمَعْنُ: الأديم، والمَعْنُ: الجلد الأحمر يُجعل على الأسفاط... ومعناها يمعنها مَعْنًا: نكحها»<sup>1</sup>.

ومن هنا يتّضح لنا أنّ كلمة معن يَختلف معناها حسب موقعها في الجملة، فتارة معناها المبالغة، وتارة الجلد أو الأديم، وتارة أخرى التّكاح.

#### ب - اصطلاحا:

يعرّف أبو سنان الخفّاجي علم المعاني بقوله: «هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمناً من السياق وما يحيط به من القرائن»<sup>2</sup>.

والمقصود منه أن نختار التركيب اللّغوي المناسب للموقف الذي يتناسب معه.

1- ابن منظور: لسان العرب، باب الميم (مادة معن)، ج9، ص 4234.

2- ابن سنان الخفّاجي: سرّ الفصاحة، تح: إبراهيم شمس الدّين، كتاب ناشرون، بيروت لبنان، دت، ط1، ص8.

ويدرس علم المعاني: الأساليب الإنشائية والخبرية ( المسند والمسند إليه)، والفصل والوصل، والإطناب والإيجاز والمساواة.

### أولاً - الأساليب الخبرية والإنشائية:

من المعروف أنّ الكلام قسمان: خبر وإنشاء.

« الخبر ما يصحّ أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذباً. والإنشاء ما لا يصحّ أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب»<sup>1</sup>.

والخبر إمّا أن يكون جملة اسمية أو فعلية.

ولكل جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان أساسيان هما:

المسند والمسند إليه.

### أ- الأساليب الإنشائية:

يقسم علماء البلاغة الأسلوب الإنشائي إلى قسمين: طلبي وغير طلبي، وفي أي دراسة ما يهيم هو القسم الأول (الطلبي) « وهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب ويكون بخمسة أشياء: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء»<sup>2</sup> ويكون توظيف الشعراء للأساليب الإنشائية إنما لإحداث تفاعل بين الكاتب والمتلقي.

### 1- الاستفهام:

يعدّ أسلوب الاستفهام أحد أساليب الإنشاء الطلبي ويوظّف لغرض مباشر أو غير مباشر والاستفهام هو طلب الفهم، ويوظّفه الشعراء والأدباء لكن دون انتظار إجابة محددة من المتلقي، ولا يكون هذا الاستفهام إلا بواسطة أدوات تسمى بأدوات الاستفهام، وما أكثر

1- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص139.

2- السيّد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1999م، ط1 ص69.

توظيف عفيف الدين التلمساني له، حيث نراه يتنوع في استخدامه لأدوات الاستفهام وذلك حسب غرضه منه ونجده مثلاً في قوله:

يَا سَاكِنِينَ بِقَلْبِي مَتَى أَفُوزُ بِقُرْبٍ؟<sup>1</sup>

وفي هذا البيت يوظف الشاعر أداة الاستفهام "متى" والاستفهام هنا غرضه تعيين الزّمن، والشّاعر هنا يقدّم شكواه بسبب تأخّر حدوث الفوز ونيل مراده. وأيضاً في قوله:

وَكَمْ فَتَحْتُ لِضَيْفِ الطَّيْفِ مِنْ سَرَفِي بَابَ الْمَنَايَا فَأَنْبَأَ عَمَّا لَمْ يَلِجْ؟.

وَكَمْ سَأَلْتُ حُدَاةَ الْعَيْسِ أَنْ يَقْفُوا فِي رَسْمٍ مَنزِلَهَاؤُ سَفْحٍ مُنْعَرَجٍ؟

وَكَمْ بَدَّلْتُ جَمِيعِي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ وَصُنْتُ سِرَّكَ فِي قَلْبٍ عَلَيْكَ شَجِي<sup>2</sup>

وفي هذه الأبيات وظّف الشاعر أداة الاستفهام "كم"، للسؤال عن عدد مبهم من الأفعال (كم فتحت، كم سألت، كم بدلت) وقد وظّف هذه الأداة خصيصاً لغرض التعظيم والتّهويل والمبالغة وهذا دليل على سعة خياله ودقّة تصويره وهنا تبرز براعته. كما نجد في قوله:

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ قُرْبِي فَلَقَدْ أَبِي قُرْبِي وَمَنْ ذَا مُنْقِدِي مِنْ بَعْدِهِ<sup>3</sup>

وهنا وظّف الشاعر أداة الاستفهام "من" وهي تستعمل غالباً للعاقل، ويستفهم بها عن الجنس لكن الشاعر هنا خرج بها ووظفها لأجل التمنيّ لأنه قصد إنزال المستحيل منزلة الممكن وبهذا كان أسلوبه هنا موحياً ومثيراً، لا يفهمه إلا من غاص في مذهبه وفكره. ومن خلال الأدوات الاستفهامية التي وظّفها عفيف الدين التلمساني وبكثرة في أشعاره نجد أنّها تنهل من منهل واحد وهو المذهب الصوّفي الذي ينتمي إليه، فعلى الرّغم من

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 109.

2- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص 151.

3- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 201.

اختلاف الأداة إلا أنّ الغاية واحدة وهي طرح التساؤلات والاستفهامات قصد فك طلاسم القضية الصوفية والرقي بالأدب الصوفي.

## 2- النداء:

يعرف النداء بأنه: «طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول عن الخبر والإنشاء»<sup>1</sup> أي أننا بذل أن نقول كلمة أنادي نعوضها بنائب وهي إحدى أدوات النداء ونجد أنّ عفيف الدين التلمساني قد وظّف النداء في قصائده بكثرة لأنّ النداء هنا يكون بالتضريح إلى المولى عزوجل، وهذا خادم للمعاني الصوفية وقد ورد النداء في بعض مطالع قصائده باستعمال الأداة "يا" قصد مخاطبة الذات الإلهية كقوله:

يَا أَمِيرًا عَلَى الْمِلَاحِ وَقَلْبِي أَبَدًا خَافِقٌ لَهُ كَاللَّوَاءِ<sup>2</sup>

وفي هذا الأسلوب - أسلوب النداء- يصوّر لنا الشاعر مظهرًا من مظاهر الحبّ الإلهي، فهو في صورة المقام الذي يسمح له بمناجاة الذات الإلهية وقد استعمل الأداة "يا" للدلالة على بُعد المخاطب والمتكلم مكانًا وزمانًا.

وفي صورة أخرى يورد لنا الشاعر أسلوب النداء بصيغة التمني، والذي لا يفهم إلا من خلال القرائن الدالة عليه ونجده في قوله:

يَا زَمَانَ الرِّضَا لَنَا هَلْ تَعُودُ وَلِأَيَّامٍ وَصَلْنَا هَلْ تُعِيدُ<sup>3</sup>

ومن خلال هذا البيت نلمس أنّ أداة النداء "يا" وُضعت هنا للتمني وليس النداء الحقيقي لأنّه يتجه بالنداء إلى تمني عودة الزمان إلى الوراء ليعود لأيام وصاله.

1- السيّد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص:89.

2- عفيف الدين التلمساني :المصدر السابق، ص69.

3- عفيف الدين التلمساني، الديوان، ص، 238.

ومنه نصل إلى أنّ عفيف الدين التلمساني استخدم أساليب النداء خاصة باستعمال الأداة "يا" قصد إبراز تعطشه الدائم وشوقه للقاء ربه وهذه هي الغاية الأسمى للصوفي.

### 3- الأمر:

يكون الأمر عادةً مباشرًا أي أن يطلب المخاطب من المخاطب طلبًا محددًا، و يكون مفهومًا من سياق الكلام، وهذا ما نجده بكثرة في ديوان التلمساني وهي في الظاهر تعبّر عن معنى مختلف اختلافًا شاسعًا عمّا في جوهرها ويتجلّى ذلك في قوله:

أُحْكَمْ فَفِيكَ الْعَذَابُ عَذْبٌ وَمَا بَعْدَ حُلُوِّ الْخِطَابِ خَطْبٌ<sup>1</sup>

وفي هذا البيت نجد أن هناك طرفي الخطاب، المخاطب وهو ذاته الذي يمثل دائما الطرف الأضعف بما أنه دائما في حالة إحتياج للطرف الثاني، وطرف أعلى يمثل الذات الإلهية، والأمر هنا بغرض نيل الرضا والشفاعة.

كما نجد صورة أخرى لأسلوب الأمر حيث يقول:

خُذَا نَدِيمِي سَلُوتِي لَكُمْ عَطَاءَ مَنْ لَا يَمُنُّ إِذْ يَهْبُ<sup>2</sup>

وفيه هذا البيت نلمس أنّ هناك وعظا وإرشادا بأنّ المولى عزوجل لا يخيب عبده إذ يجازيه بالمنن والعطايا على قدر تقربه منه.

والأمر هنا غرض ينتهجه الصّوفية بأسلوب مقتبس من الشعر الجاهلي ( خذا، قفا، خليلي) مخاطبة الرفيقين، وهنا يكون الأمر والمأمور في نفس الدرجة.

ومن خلال استعمال عفيف الدين التلمساني لأساليب الأمر فإنّه صور لنا كيفية استحضار المعاني المختلفة للفكر الصّوفي وتبيين وظيفتها.

### ب- الأساليب الخبرية:

1- عفيف الدين التلمساني، المصدر نفسه، ص100.

2- عفيف الدين التلمساني، المصدر نفسه، ص79.

من المعروف أنّ وظيفة الجمل الخبريّة هي تمثيل أفكار الشّاعر، وإبراز براعته وكشف أسلوبه، وتبين مدى ثقافته.

ومن هذا فإننا نجد أنّ الجمل الخبريّة هي المهيمنة على الصياغة الفنيّة لأسلوب عفيف الدين التلمساني، وهذه الجمل إمّا تكون مثبتة أو منفيّة.

### 1- الجمل الخبرية المثبتة:

والخبر في هذا النوع من الجمل لا يخرج عن ثلاثة أضرب: إمّا أن يكون ابتدائيا وإمّا طلبيا وهو الأكثر ورودا في ديوان التلمساني، وإمّا إنكاريا. ومن الابتدائي نجد قوله:

تَذَكَّرَ بِالْحِمَى قَلْبِي الطَّرُوبُ لِيَالِي غَابَ عَنْهُنَّ الرَّقِيبُ<sup>1</sup>

وأیضا قوله:

مَلَكَتْ خُدُودَكَ أَسْوَدَى فَمَاؤَهَا مِنْ مُقَلَّتِي وَلَهِيْبُهَا بِفُؤَادِي<sup>2</sup>

والملاحظ على هذه الأبيات أنّها تحمل خبرا أو نبأ ابتدائيا، أي أنّ الخبر ورد خاليا ومجردا من أدوات التوكيد.

وأما النوع الثاني من الخبر فهو الخبر الطلبي ونجده في قوله:

لَا تَلْمُ صَبُوتِي فَمَنْ يُحِبُّ يَصْبُو وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الْمَحِبُّ الْمَحِبَّ<sup>3</sup>

وفي هذا البيت تتجلى إحدى صور الخبر الطلبي وذلك في قوله (إنّما يرحم المحبّ المحبّ)، وغرضه طلب الرحمة من محبوبه الذي لا محبوب له غيره وهو الذات الإلهية. وأیضا قوله:

قَدْ سَلَبْتَ رُقَادَ النَّاسِ كُلَّهُمْ لِذَاكَ جَفُنْكَ كَسَلَانٌ مِنَ النَّعْبِ<sup>1</sup>

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 85.

2- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه، ص 186.

3- عفيف الدين التلمساني: الديوان ص 83.

وقد أكثر الشاعر من استعمال الجمل الخبرية بـ "قد" قصد إبراز ما تحتويه هذه الجمل من معلومات قيّمة، وهنا تظهر براعته، وسبب هذا الإكثار أنّ الشاعر شك ومتردد في قبول هذا الخبر.

وأما النوع الثالث من الخبر فهو الخبر الإنكاري

ونلمسه في قوله:

وَلَقَدْ طَرَفْتُ الْحَيَّ بَيْنَ خِيَامِهِ كَأَنَّيَ لِلْسُّقْمِ مِنْ أَطْنَابِهَا<sup>2</sup>

وأيضاً قوله:

فَإِنَّ الْبَنَفْسَ تَفْسِيرُهُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُ بِنَفْسِي أَجِي<sup>3</sup>

وفي هذين البيتين استعمل الشاعر أداة التوكيد "أنّ"، وقد قصد تأكيد وترسيخ المعنى وبما أنّه من كبار المتصوف فهو يحاول أن يرسخ تعاليم المذهب الصوفي في نفوس قارئيه هذا الشعر.

## 2- الجمل الخبرية المنفية:

يعرّف النفي في الاصطلاح بأنّه: «سلب معنى الجملة بإحدى أدوات النفي وهو خلاف الإثبات»<sup>4</sup>.

1- عفيف الدين التلمساني: المصدر نفسه: ص 127.

2- المصدر نفسه، ص 126 .

3- المصدر نفسه، ص 149.

4- ثروت السيد عبد العاطي رحيم: ظاهرة النفي في الحديث الشريف دراسة نحوية في صحيح البخاري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2001، ص 15.

ونفهم من هذا القول أن النفي خلاف للإثبات، ويتم النفي بأدوات خاصة تسمى "بأدوات النفي"، ويستخدمها الشاعر قصد تبين حالته الشعورية، وقد ورد النفي في قصائد عفيف الدين التلمساني بعدة صياغات منها: "ليس"، "لا"، "ما" ونجد ذلك في قوله:

وَإِنْ زَمَزَمَ الْحَادِي وَمَالُوا صَبَابَةً      فَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبُ<sup>1</sup>

وقوله:

وَلَا عَائِقٌ مِنْ دُونِهِ غَيْرَ دَاتِهِ      وَمَا دُونَهُ مِنْ مَانِعٍ غَيْرِ مَانِحٍ<sup>2</sup>

والمتمثل لهذه الأبيات يجد أنها منفية، ففي البيت الأول نجد أن الشاعر قام بنفي الأرب والقصود عن كل الموجودات فقط هي بيد الله عز وجل، فإن تكلم الإنسان ولو همسا بينه وبين نفسه، فالله هو الوحيد الذي يسمعه.

### ثانياً - الإيجاز والإطناب والمساواة:

يعمد الشاعر إلى اختيار طرق مختلفة للتعبير عما يدور في خلجات نفسه، فهو تارةً يوجز، وتارةً يطنب، وتارةً أخرى يوازي بينهما، وذلك بحسب ما تقتضيه حاله وحال موضوعه.

### 1- الإيجاز:

يعرف الإيجاز بأنه: « جمع المعاني المتناثرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح»<sup>3</sup>؛ أي أن تكون العبارة مختصرة وموجزة ومعناها كبير ومتشعب، و لا تحتاج إلى ألفاظ أخرى

1- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 86.

2- المصدر نفسه: ص 160.

3- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مرجع سابق، ص 242.

كي يتّضح معناها، أو بعبارة أخرى أن يكون التعبير عن الأفكار الكثيرة بأقل عدد من الألفاظ، ونجد ذلك في قوله:

عَدَا وَصَنَفُكُمْ لِلْحُسْنِ دَانَا فَشَمْسُكُمْ      بِكُمْ مِنْكُمْ فِيكُمْ لَهَا، الشَّرْقُ وَالْعَرَبُ<sup>1</sup>

وهنا نجد أنّ العفيف التلمساني يوجز في قوله (بكم، منكم، فيكم)، فهذه العبارة تحمل معاني عديدة إلا أنه فضّل إلغازها، فلو شاء لقال "بكم" وشرحها في عدة أبيات ، وكذلك بالنسبة لعبارتي "منكم، وفيكم" ولعلّ الإيجاز هنا غرضه اعمال عقل المتلقي .  
وأیضا قوله:

شَهَدْتُ بِوَجْهِهِ بَدْرًا وَأَدْنَى      وَقَائِعِ لَحْظِهِ بَدْرٌ وَأُحْدُ<sup>2</sup>

وهنا أوجز الشاعر في عبارتي (بدر وأحد)، وهذا النوع من الإيجاز يسمى بإيجاز الحذف، فبدل أن يقول غزوة بدر وغزوة أحد اختصرها مباشرة بذكر تسميتها فحسب.  
ومن هذا فإنّ الشاعر حاول من خلال توظيفه للإيجاز أن يثير العقل، ويحرّك الذهن وبما أنّه صوفي فهو يحاول أن يطرح قضايا الصّوفية بطريقة مشوّقة تجعل المتلقي في حيرة من أمره جراء الاستفهامات التي تتولد في ذهنه.

## 2- الإطناب:

يعرّف الإطناب بأنّه: «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ما»<sup>1</sup>؛ أي أن يكون هناك إسهاب في توظيف الألفاظ فتكون كثيرة ومتعدّدة مع استعمال مطوّل للشروح، ويتجلى الإطناب بكثرة في ديوان العفيف، ومنه قوله:

1- عفيف الدّين التلمساني:الديوان، ص85.

2- عفيف الدّين التلمساني: المصدر نفسه، ص 182.

يَاقَمْرًا فِي مُهَجَّتِي لَمْ يَزَلْ      مَطَّلَعُهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ  
وَيَا غَزَالًا فِي فُرَادِي لَهُ      مَرَعَى وَمِنْ دَمْعَتِي لَهُ مَشْرَبٌ<sup>2</sup>

فالبيت الأول تضمن معنى واضحا وهو أنه يصف حسن الذات الإلهية وجمالها فيشبهها بالقمر الساطع البهي، أما البيت الثاني فكان بمثابة تكملة للبيت الذي قبله، فبعدهما شبهها بالقمر هاهو يشبهها مرة أخرى بالغزال، وقد صور لنا من خلال توظيفه لهذا الإطناب حبه وولفه تصويرا جماليا فتانا ودقيقا كان التشبيه حليته وزينته، وهذه إحدى أهم سماته.

### 3- المساواة:

بعد أن تطرقنا إلى كل من الإيجاز والإطناب لم نتبق لنا سوى المساواة، وهي: «أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض»<sup>3</sup>؛ أي أن تكون الألفاظ مساوية لمعانيها، فلا يكون اللفظ رديئا ونجدها تتجلى في قوله:

جُبِلْتُ عَلَى حُبِّ لِمَنْ أَنَا عَبْدُهُ      فَلَحْظِي إِطْرَاقٌ وَلَفْظِي تَلْجُجٌ  
جَزَانِي هَوَاهُ لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ      وَإِنِّي لِغَيْرِ الْجَرَائِنِ أَحْوَجٌ<sup>4</sup>

وفي هذين البيتين نجد أن الشاعر ساوى بين الألفاظ ومعانيها، فلا هو أوجز ولا هو أسهب وإنما وضع الألفاظ للمعاني التي تناسبها. ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن شاعرنا عفيف الدين التلمساني أكثر من الإطناب الذي لا يخل بالمعنى على غرار الإيجاز والمساواة، وهذه إحدى أهم خصائص الشعر الصوفي وذلك بطرح الفكرة ثم شرحها.

1- علي الجارم و مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص 250.

2- عفيف الدين التلمساني: الديوان، ص 87.

3- علي الجارم ومصطفى أمين، المرجع السابق، ص 240.

4- عفيف الدين التلمساني، الديوان، ص 152.



# خاتمة

ليست الخاتمة نهاية حاسمة للبحث ولا محطته الأخيرة؛ وإنما هي خلاصة لأهم النتائج والأفكار التي توصل إليها البحث، والمتمثلة في:

أنّ عفيف الدين التلمساني في حد ذاته يعد ظاهرة شعرية وعلمًا من أعلام الأدب الجزائري القديم عامّة والأدب الصّوفي خاصّة .

أنّ الشّعْر الصّوفي ظاهرة متميِّزة في الشّعْر العربي، من حيث أهدافه ومراميه و فترة ظهوره، فالشّعراء الصّوفيين وعلى رأسهم عفيف الدين التلمساني لهم طرق خاصّة في التعبير عن تجاربهم الروحية، وتعلقهم بالذّات الإلهية، كما أنّه كغيره من المتصوفين لا يريد من شعره أن يبهر الأدباء، وإنما هو محاولة لترجمة حالة وجدانية يعيشها .

وظّف عفيف الدين التلمساني البديع بكثرة خاصة ( الطباق و الجناس)، قصد تحسين أوجه الكلام اللفظية و المعنوية و تبين قدرته اللغوية حتى قيل إنّّه بالغ في ذلك.

أنّ ديوان عفيف الدين التلمساني زاخر بالصّور البيانية التي تساهم في رسم الصّور التي من شأنها كسب القلوب و التأثير على النفوس، ومن الصّعب علينا الوقوف عليها بأكملها أو حصرها.

فقد وظّف الاستعارة قصد إثبات وتأكيد فكره ومذهبه ومعتقده، والتي تعد من الأساليب التي تزيد الكلام حسناً إذا وقعت موقعها وأصاب غرضها، ووظّف الكناية لأنّها تضع لنا المعاني في صور المحسوسات فتصور لنا ما عجز اللسان عن التعبير عنه وتقريبه حتى يصبح واضحاً جلياً.

أنّ الأدوات الإنشائية (استفهام، نداء، أمر) التي وظفها العفيف التلمساني وبالرغم من تعددها وتنوعها إلا أنّها تصبّ في قالب واحد وهو الارتقاء من مقام إلى مقام ومن حال إلى حال قصد الفوز بالحبّ الإلهي.

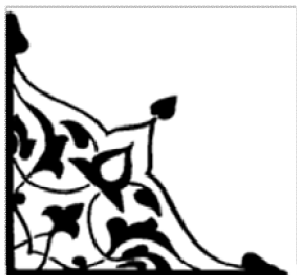
ومن خلال دراستنا لديوان العفيف التلمساني نلاحظ أنه متأثر تأثراً كبيراً بالقاموس القديم فمن خلال توظيفه للصّور البلاغية نجد أنه لم يخرج على منهاج القدامى.

وفي الأخير لا يسعنا إلا القول أنّ ديوان العفيف التلمساني لا يزال ميداناً خصباً للدراسة والبحث بمناهج حديثة قصد إعادة بعث الحياة فيه.



# قائمة المصادر

## والمراجع



القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أ- المصادر:

1. ابن سنان الخفاجي : سرّ الفصاحة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، كتاب ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، دت.
2. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.
3. علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتبى وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم-علي محمد البجاوي ، دار عيسى البابي الحلبي، د ط ، 1966م.
4. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرئووط، ج5، دار ابن كثير، دمشق، دط، دت.
5. ابن عربي: فصوص الحكم ( فص حكمة إمامية في كلمة هارونية)، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.
6. ابن عطاء الله السكندري: اللطائف الإلهية، شرح: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، دت.
7. أبو بكر حمد بن الطيّب الباقلائي: إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروتلبنان، ط1، 1996.
8. أبو بكر محمد بن إسحاق ( الكلابادي): التعرف لمذهب التصوف، تحقيق أحمد شمس، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، دط، 1993.
9. أبو عباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ( ابن تيمية): الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار هجر، الجيزة مصر، دط، دت.
10. أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) : البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط ، 1998م.
11. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لندن، ط1، 2003.

12. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: فايزة الداية ومحمد الداية، دار الفكر، دمشق سوريا ط1، 2007م.
13. عبد الوهاب الشعراني: لطائف المنن والأخلاق (المنن الكبرى)، ج2، دار التقوى سوريا دمشق، ط1، 2004.
14. عفيف الدين التلمساني: ديوان عفيف الدين التلمساني، ج1، تحقيق: يوسف زيدان دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 2008م.
15. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد الله عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دط، دت.
16. محمد بن شاعر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليا، ج 2\_3، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، ط 1، 1974م.
17. أبو اسماعيل الهراوي: منازل السائرين إلى الحق المبين، ج1، ج2، شرح: عفيف الدين التلمساني: دار التركي للنشر، تونس، دط، 1989.
18. أبو الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، دار الجيل، بيروت لبنان، ط5، 1981م.
19. أبو الوفا الغنمي التفتازاني: مدخل إلى التصوّف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط3، دت.
20. الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (أبو هلال): كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر -، تحقيق: علي محمد البجاوي - أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى البابلي الحلبي، ط1، 1952م.

### ب- المراجع:

1. رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الاسكندرية مصر ط2، دت.
2. محمد أحمد لوج: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ج1، دار ابن عفان، دار ابن القيم، الجيزة مصر، ط2، 2002م.
3. السيّد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان ط1، 1999م.

4. إنعام نوال مكايي: علوم البلاغة: البديع، البيان، المعاني، ترجمة: أحد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1986م.
  5. صديق حسن بن خان: أبجد العلوم، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طدت.
  6. عاطف جودة نصر: الرّمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، دار الكنديط، 1978، 1..
  7. علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (البيان - المعاني، البديع)، طدار المعارف، مصر، دت.
  8. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1979م.
  9. ماسينوس ومصطفى عبد الرزاق: التصوّف، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، ط1، 1984م.
  10. منال عبد المنعم جاد الله: التصوّف في مصر والمغرب، منشأة المعارف بالإسكندرية مصر، دط، دت.
  11. يوسف زيدان: شعر الصوفية المجهولين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1996م. رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الاسكندرية مصر ط2، دت.
- المعاجم:**
- 1- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دط، 1979.
  - 2- أحمد بن محمد بن عليّ المقرئّ الفيتومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ترجمة: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، ط2، دت.
  - 3- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، دت.
  - 4- محمد أبو الفضل (ابن منظور): لسان العرب، ج5-5-25-9-36-44، تحقيق: علي الكبير وآخرون، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة مصر ط1، دت.

الموسوعات:

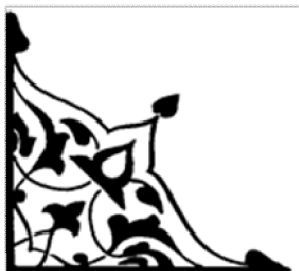
1- كرنكوف: دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية، ج5، دت.

### المذكرات:

2- ثروت السيّد عبد العاطي رحيم: ظاهرة النّفي في الحديث الشريف دراسة نحوية في صحيح البخاري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة مصر، 2001م.



# فهرس الموضوعات



## فهرس الموضوعات

| الصفحة   | الموضوع                       |
|--|-------------------------------|
| أ- ب   | مقدمة                         |
| -  | مدخل: مفاهيم و مصطلحات        |
| -  | أولاً مفهوم التصوّف           |
| 8  | أ- لغة                        |
| 9  | ب- اصطلاحا                    |
| 10   | ثانيا: أصل كلمة التصوّف       |
| 12   | ثالثا: أهم المصطلحات الصوفية  |
| <b>الفصل الأول: التعريف بصاحب المدونة " عفيف الدين التلمساني "</b> |                               |
| 18   | المبحث الأول: نسبه ومولده     |
| 18   | المبحث الثاني: نشأته          |
| 21   | المبحث الثالث: أهم مؤلفاته    |
| 22   | 1- شرح منازل السائرين         |
| 22   | 2- شرح المواقف                |
| 23   | 3- شرح تائية ابن الفارض       |
| 23   | 4- شرح فصوص الحكم             |
| 24   | 5- شرح القصيدة العينية        |
| 24   | 6- شرح الأسماء الحسنى         |
| 24   | 7- رسالة في علم العروض        |
| 25   | 8- الديوان الشعري             |
| -  | المبحث الرابع: أغراضه الشعرية |
| 26   | 1- الغزل الصوفي               |
| 27   | 2- الخمریات الصوفية           |
| 28   | 3- الوصف                      |
| <b>الفصل الثاني: الأساليب البلاغية في ديوان العفيف التلمساني</b>   |                               |
| -  | المبحث الأول: مفهوم البلاغة   |

|    |                                  |
|----|----------------------------------|
| 31 | أ- لغة                           |
| 31 | ب- اصطلاحا                       |
| -  | المبحث الثاني: علوم البلاغة      |
| -  | المطلب الأول: تعريف علم البديع   |
| 33 | أ- لغة                           |
| 33 | ب- اصطلاحا                       |
| 33 | 2- أقسام علم البديع              |
| 33 | أ- محسنات بديعية معنوية          |
| 33 | 1- الطباق                        |
| 34 | 2- المقابلة                      |
| 35 | 3- التورية                       |
| -  | ب- محسنات بديعية لفظية           |
| 36 | 1- الجناس                        |
| 38 | 2- السجع                         |
| 39 | 3- التصريح                       |
| 40 | 4- الإقتباس                      |
| -  | المطلب الثاني: تعريف علم المعاني |
| 41 | أ- لغة                           |
| 41 | ب- اصطلاحا                       |
| -  | أولاً: التشبيه                   |
| 42 | أ- لغة                           |
| 42 | ب- اصطلاحا                       |
| -  | ثانياً الاستعارة                 |
| 45 | أ- لغة                           |
| 45 | ب- اصطلاحا                       |
| -  | ثالثاً الكناية                   |
| 47 | أ- لغة                           |
| 48 | ب- اصطلاحا                       |

|    |                                  |
|----|----------------------------------|
| -  | رابعاً المجاز                    |
| 50 | أ- لغة                           |
| 51 | ب- اصطلاحاً                      |
| -  | المطلب الثالث: تعريف علم المعاني |
| 52 | أ- لغة                           |
| 52 | ب- اصطلاحاً                      |
| -  | 1- الأساليب الخبرية والإنشائية   |
| 53 | أ- الأساليب الإنشائية            |
| 53 | 1- الاستفهام                     |
| 54 | 2- النداء                        |
| 55 | 3- الأمر                         |
| -  | ب- الأساليب الخبرية              |
| 56 | 1- الجمل الخبرية المثبتة         |
| 58 | 2- الجمل الخبرية المنفية         |
| -  | 2- الأيجاز والاطناب والمساواة    |
| 59 | أ- الأيجاز                       |
| 60 | ب- الاطناب                       |
| 60 | ج- المساواة                      |
| 63 | خاتمة                            |
| 66 | قائمة المصادر والمراجع           |
| 72 | فهرس الموضوعات                   |
| -  | ملخص باللغة العربية/ الفرنسية    |